**المحاضرة الأولى:**

**الأصل المفاهيمي للبلاغة والفصاحة**

أولا:تعريف البلاغة لغة:

البلاغة في اللغة تعني الوصول والانتهاء،يقال بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى ومنه قول أبي قيس بن الأسلت السلمي:

قالت ولم تقصد لقيـل الخنا مهلا فقد أبلغت أسمــاعي

ويقال رجل بليغ وبَلغ وبِلغ حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه

إذا فكلمة البلاغة على إطلاقها تعني الانتهاء إلى أعلى درجات الشيء،حتى لا يكون بعده شيء أحسن ،سواء أكان هذا الانتهاء في أمور مادية أو أمور معنوية

ثانيا:تعريف البلاغة اصطلاحا:

لقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين العديد من تعاريف البلاغة التي شكلت فيما بعد لبنات هذا الصرح ومنها :

1-تعريف عمرو بن عبييد(144هـ) بقوله "تخير اللفظ في حسن الإفهام'

يشير هذا التعريف إلى أمرين: الأول اختيار اللفظ،والثاني الإفهام ،وهما أمران مترابطان ،بل ينبغي أن يخضع فيهما الأمر الأول للثاني.

2- تعريف ابن المقفع حيث يقول:"البلاغة اسم لمعان تجري في أمور كثيرة،فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا ومنها ما يكون خطبا ومنها ما يكون رسائل،فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة"

لو حاولنا أن نمحص هذا التعريف فإننا سنجد الآتي:

البلاغة في السكوت:وهنا يتبادر إلى الذهن أننا نتكلم عن بلاغة الكلام فكيف يمكن للسكوت أن يكون بلاغة؟

والإجابة على هذا الأمر بسيطة،فالمقصود بالسكوت ليس معناه أن يكون الإنسان صائما عن الكلام ونطلق عليه في الأخير أنه بليغ،بل المقصود بالسكوت أثناء عملية الكلام في لحظات معينة يفرضها سياق الكلام،ولهذا قالت العرب "السكوت عن الأحمق جوابه" كما أن "السكوت علامة الرضا".

أما بلاغة الاستماع فمعنى هذا أن يختار اللحظات التي يتطلبها الاستماع،فيفهم المعنى ويدرك المغزى ليتسنى له الرد ويتاح أمامه الجواب ولهذا قالت العرب "حسن الكلام من حسن الاستماع"

وأما أن تكون البلاغة في الاحتجاج،فهذا أمر ليس بالمتاح أمام الجميع إذ لا يقدر عليه إلا من أوتي من علم المناظرة وسوق الكلام باعا يمكنه من الرد والجواب في المقام الذي يتطلبه ذلك الأمر

وأما أن تكون البلاغة جوابا،فهذا يعني اختيار الجواب المناسب في اللحظة المناسبة، ومن هنا كان جواب الحكيم أحد فصول البلاغة العربية

وأما أن تكون البلاغة شعرا أو خطبا أو رسائل،فهذه صنوف في الكلام اعتادت العرب أن يبلغ بها عن أغراضها،و لكل صنف منها مقام خاص يتطلبه .

وأما قول ابن المقفع:" فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة" فيشير إلى ميزان البلاغة عنده وهو أمران:

الأول هو الإشارة إلى المعنى .

والثاني الإيجاز بالقدر الذي يحتاجه ذلك المعنى.

وإذا تحقق هذان الأمران كان الإنسان وفق هذا التعريف بليغا.

ومن خلال تعريف ابن المقفع نستنتج أنه قد ركز على جانبين:الأول عقلي يتمظهر في السكوت والاستماع والإشارة، والآخر إجرائي مرتبط بالآداء الكلامي، يتمظهر في الاحتجاج والجواب والخطب والشعر.

وورد تعريف البلاغة في المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية ما مفاده"البلاغة حسن البيان وقوة التأثير

ويعرفها الخطيب القزويني بقوله: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته

**الفصاحة**

الفصاحة: خلو الشيء مما يشوبه ، يقال : أفصَح اللبن ، ذهب اللِبأ عنه -أي الرغوة التي تغطي سطحه- قال نضلة السُلمي :

رَأَوْهُ فَازْدَرَوهُ وهـوَ خِـرق ويَنفـعُ أَهْلَه الرجلُ القَبيحُ

فلم يَخْشُوا مَصَـالتَهُ عَليهـم وتَحتَ الرُّغوة اللَّبَن الفصيحُ

ويروى اللبن الصريحُ.

وقد وردت لفظة الفصاحة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((وَأَخِي هارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِي)) وفي الحديث النبوي (( أنا أفصح العرب بيد أني من قريش)) وبهذا المعنى قال عبد الله بن رواحة في مدح النبي (صلى الله عليه واله:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت فصاحته تنبيك بالخبر

وفي قوله (صلى الله عليه واله) ((غُفر له بعدد كل فصيح وأعجم)) وفسر الفصيح ببني آدم والأعجم بالبهائم.

ولهذا فإن لفظة الفصاحة في القران الكريم والحديث النبوي الشريف لا تخرج عن المعنى اللغوي وهو الظهور والبيان والوضوح والصفاء

ويشترك مفهوم البلاغة مع الفصاحة في كونهما يحملان جميعا مفهوما واحدا وهو الإبانة عن المعنى.

وقد ذهب البلاغيون فيهما طرفين:

الأول يرى أنهما شيء واحد ويتزعم هذا الرأي عبد القاهر الجرجاني.

والثاني يرى أنهما مختلفان، ويترأس هذا الرأي أبو هلال العسكري حيث يرى أن الفصاحة تتعلق باللفظ، والبلاغة تتعلق بالمعنى، ولذلك فهي مرتبطة بآلة البيان، والدليل على ذلك أن الألثغ مثلا لا يسمى فصيحا ،كما أن الببغاء يقيم الحروف لكنه غير مدرك للمعنى؛ ولهذا يقال عنه أنه فصيح، وليس بليغا.ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فصيحا.

وخلاصة القول في التفريق بين الفصاحة والبلاغة أن الفصاحة من صفات اللفظ ،والكلام، والمتكلم، فيقال: لفظة فصيحة، وكلام فصيح، ورجل فصيح.وأما البلاغة فيوصف بها الكلام والمتكلم فقط

والآن سنورد تفصيل هذا :

أ-**فصاحة اللفظ** :يعني خلوه من ثلاثة أشياء:

1-تنافر الحروف في الكلمات:ويعني أن تتألف الكلمة من حروف يعسر نطقها مجتمعة في لفظ واحد لثقلها على اللسان وذلك لتجاورها من حيث المكان الذي تصدر منه في الجهاز الصوتي.

و مثاله: لفظ – الهُعْخُع- فقد سئل أعرابي عن ناقته فقال: "تركتها ترعى الهُعْخُعَ"، وهو نوع من الشجر،

2-غرابة اللفظ: الغرابة وهي أن يكون اللفظ وحشيا؛أي لا يظهر معناه إلا بعد بحث في معاجم اللغة ،ومثاله قول العجاج:

وفَاحما ومَرسِنا مسَرَّجا وكَفلا وَعثا إذا ترجرجا

فالفاحم هنا الأسود،والمرسن الأنف الذي يشد بالرسن ثم استعير لأنف الإنسان، أما مسرجا فقد

اختلفوا في تخريجه فقيل: من سرجه تسريجا أي حسنه وبهجه،وقيل هو من قولهم للسيوف سريجية، نسبة إلى حداد اسمه سريج يجيد صناعة السيوف. فهو يريد تشبيه أنفها بالسيف السريجي في الدقة والاستواء ، وقيل إنه من السِّراج، أي أنه من البريق كالسراج .

ومعنى كلام الشاعر أن لهذه المرأة شعرا أسود فاحما،وأنفا كالسيف السريجي في دقته واستوائه،أو كالسراج في بريقه وضيائه

وقد ألحقت صفة الغرابة بهذه اللفظة لتعدد معانيها من جهة والاختلاف في تخريج المعنى المراد من جهة أخرى.

3-مخالفة القياس اللغوي وهو خروج اللفظة عن العرف العربي القويم، سواء أكان ذلك الخروج من الناحية الصرفية أم من الناحية النحوية وذلك بزيادة حرف أو إنقاصه أو إبداله ،وهذا الأمر عادة ما تفرضه الضرورات الشعرية كتعديل الوزن أو الحفاظ على القافية.

ومثاله أيضا قول أبي النجم الفضل بن قدامة العجلي:

الحمد لله العلي الأجلل

الواهب الفضل الوهوب المجزل

أعطى فلم يبخل ولما يبخل

فإن القياس يقتضي إدغام المتماثلين، فيقول: الأجل، ولكنه فك الإدغام لضرورة الشعر مخالفًا بذلك ما تقرره القواعد الصرفية،

ب- **فصاحة الكلام** إذا خلا من ثلاثة أشياء أيضا:

1-تنافر الألفاظ في الكلام:ومعناه أن يسبب اتصالها ثقلا على السمع وعسرا في النطق بها. وقد قسم البلاغيون تنافر الكلمات قسمين:

-تنافر ثقيل، ومثاله البيت الذي أنشده الجاحظ:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

فقد زعموا أن هذا البيت من أشعار الجن، وأنه لا يمكن لأحد أن ينشده ثلاث مرات دون أن يتلعثم.

-تنافر خفيف؛ومثاله قول أبي تمام يمدح موسى بن إبراهيم:

ومثاله أيضا:

لو كنت كنت كتمت السر كنت كما كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

2- ضعف التأليف في الكلام:وهو خروج الكلام عن قواعد اللغةومثاله عود الضمير على متأخر لفظًا ورتبة،

ومثاله:

جزى ربُه عني عديَ بن حاتم جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

فالضمير في ربه يعود على عدي، وهو مفعول، وذلك ممتنع عند الجمهور، فلا يصح أن يتصل بالفاعل ضمير يعود على المفعول به

3- التعقيد: ويكون ذلك لخلل في نظمه وتركيبه لعدم ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني؛ بسبب تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبي بين موصوف وصفته أو بدل ومبدل منه أو مبتدأ وخبر،ومنه قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام المخزومي، خال هشام بن عبد الملك بن مروان، يقول:

وما مثله في الناس إلا مملكًا أبو أمه حي أبوه يقاربه

يريد أن يقول: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكًا؛ يعني ملكًا، أبو أمه أبوه، فالمعنى الذي أراد الفرزدق أن يثبته للممدوح بسيط جدًّا، وهو أن هذا الممدوح لا يشبهه أحد على الإطلاق في فضائله إلا ابن أخته هشام بن عبد الملك، وهو بذلك يمدح الاثنين معًا، ولكن الفرزدق تعسف في القول حين أسرف في ارتكاب هذه الضرورات التي أدت بالتالي إلى خفاء المعنى المراد، وذلك لعدم ترتيب الألفاظ في الذكر على موجب ترتيب المعاني في النفس.

**فصاحة المتكلم**

يرى الخطيب القزويني أن فصاحة المتكلم "ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح" . فالملكة أمر متعلق بالنفس ، يستطيع بها أن يعبر عن مقصوده بلفظ فصيح في أي معنى من المعاني، كالمدح والذم والفخر والرثاء والنسيب، وغيرها. وهذه الملكة موهبة تصقلها القراءة،والتدرب على التعبير عن الأفكار والمشاعر تعبيرًا جيدًا، يرتقي من مستوى الكلام العادي إلى الكلام الرفيع.

فوائد علم البلاغة

- أنها وسيلة إلى معرفة إعجاز القرآن الكريم،

-استجلاء ما في القرآن الكريم من معان وأحكام وأخبار وقضايا، فلا بد للناظر في القرآن من الإلمام بقواعد هذا العلم لمعرفة ما يدل عليه التكرار، وما ينطوي عليه الحذف، وما يفيده هذا التأويل، وغير ذلك مما يتصل بقواعد هذا العلم

-التدرب على التكلم بالبليغ من القول

- القدرة على حسن الاختيار

**المحاضرة الثانية**

**الأصل التاريخي للبلاغة العربية**

**1- العصر الجاهلي:**

لقد خص العرب بالفصاحة والبلاغة،و كانت هذه المزية موطن العز وأساس الافتخار وصفهم الله تعالى بذلك فقال" وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ".ولهذا، فقد كانت نظرتهم إلى الفن عموما ،وإلى الشعر خصوصا ،نظرة ذوقية، مستمدة روحها من الإحساس المرهف، والشعور الرقيق الذي يمكنه من تمييز الأشياء ،والحكم على الجيد والرديء منها على حد سواء،"فلقد عاش الجاهلي مرحلة بدائية من التفتح على الحياة ، بعيدة عن المشاكل الفكرية المعقدة والتطلعات الماورائية الصعبة،فكان هاجسه الأساسي الإفصاح والتبليغ، وكان يتلمس قدرته على استخدام اللغة تماما كما كان يتلمس قدرته على استعمال السيف، وصارت الفحولة الأدبية موازية للفروسية القتالية، تقومان معا على توخي قصب السبق"

ولم يحتفل العرب بشيء في حياتهم احتفالهم بكلامهم وما يدور حوله فاحتفلوا بالشعر"القصيدة" كما احتفلوا بالشاعر

فمما أثر عليهم في احتفالهم بالقصيدة أن من الشعراء"من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا(كاملا) وزمنا طويلا يردد فيها نظره، ويجيل فيها عقله ويقلب فيها رأيه،اتهاما لعقله،وتتبعا على نفسه،فيجعل عقله زماما على رأيه،ورأيه عيارا على شعره"

كما أثر على أحدهم قوله:أننا"لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب....وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معاظم التدبير ومهمات الأمور ميثوا(ذللوا)الكلام في صدورهم وقيدوه على أنفسهم،فإذا قومه الثقات وأدخل الكير وقام على الخلاص أبرزوه محككا منقحا ومصفى من الأدناس مهذبا"

كما وصفوا شعرهم وخطبهم بعديد الصفات التي توحي بالجودة ومنها :الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات،كما وصفوا كلامهم بالحلل والديباج وأشبه ذلك

وأما احتفاؤهم بالخطباء والشعراء فيبدو من خلال تلك الألقاب التي أطلقت عليهم ولذلك سمو المهلهل والمرقش والمثقب والمنخل والمتنخل والأفوه والنابغة،كما أطلقوا على خطبائهم عددا من الصفات تدل أيضا على الإجادة فوصفوهم بأنهم مصاقع لسن، ووصفوهم باللوذعية.

وأكثر من هذا فقد وضع العرب محاكم بلاغية يعرض فيها الشاعر كلامه ويرى النقد يطاله،وكانت سوق عكاظ بجوار مكة محفلا بلاغيا تعرض فيه العرب"أشعارها على قريش،فما قبلوه منها كان مقبولا،وما ردوه منها كان مردودا،فقدم عليهم علقمة بن عبدة التيمي،فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها:

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها أن تأتك اليوم مصروم

فقالوا:هذا سمط الدهر،ثم عاد إليهم العام المقبل،فأنشدهم:

طحابك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا هاتان سمطا الدهر"

وقد عملت الفطرة العربية الخالصة والذوق العربي في ذلك على صقل ذات الشاعر الناقدة، فجعلت منها أداة تمييز لا تحتاج إلى تعليل أو تبرير، ولهذا فقد كان سوق عكاظ وغيره ميدانا يتسابق فيه محترفوا الشعر ليلقوا قصائدهم على أباطرة الفن وعمالقة الإحساس، والذين يتزعمهم النابغة الذبياني ،كما كانت روح الناقد متسقة مع روح الشاعر وموافقة له إذ الشعر وقتها"إحساس محض أو يكاد والنقد كذلك كلاهما قائم على الانفعال والتأثير فالشاعر مهتاج بما حوله من الأشياء والحوادث والناقد مهتاج يوقع الكلام نفسه وكل نقد في نشأته لا بد من أن يكون قائما على الانفعال بأكثر الكلام المنقود"

لقد احتل الذوق مكانا مرموقا كونه"الملكة التي لا غنى لأي ناقد عنها،لأنها تمكنه من التعرف على مواطن الجمال والقبح فيما يعرض له من النصوص.عند سماعها أو قراءتها،ويستطيع بعد ذلك أن يقف عندها ويتبين أسرارها،ثم يعلل له بما أوتي من العلم والمعرفة،والإحاطة بجوانب الموضوع،وبما أوتي كذلك من قدرة على التعمق،والتحليق،والاكتشاف"

ويمكننا أن نمثل لذلك بما ترويه كتب الأخبار وما تتداوله من أشعار،فهذا النابغة الذبياني كانت تضرب له قبة في سوق عكاظ يأتيه العرب من كل حدب وصوب ينسلون،ولتقييم أشعارهم يريدون،وقصته مع حسان بن ثابت والخنساء من أشهر ما وصلنا .

جاء في كتاب الأغاني :" أن نابغة بني ذبيان كان تضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قولها :

" قَذىً بِعَينِكِ أَم بِالعَينِ عُوّارُ ...

حتى انتهت إلى قولها:

وَإِنَّ صَخراً لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِـهِ ... كَأَنَّهُ عَلَــمٌ فـي رَأســِهِ نــارُ

وَإِنَّ صَخراً لَمولاِنا وَسَيِّدُنا ... وَإِنَّ صَخراً إِذا نَشتو لَنَحّارُ

-ومعنى البيتين أن صخرا إمام للناس يأتمون به ويهتدون بهديه ، كأنه جبل على قمته نار مشتعلة فلا تخفى على أحد ( وهذا البيت صار مثلا بعد ذلك كما يقولون : فلان أشهر من نار على علم(

وتقول في البيت الثاني أن صخرا مولاهم وسيدهم ، وأنه كريم فمتى يأتي على الناس الشتاء ببرودته وصقيعه ، يكثر من نحر وذبح الذبائح لضيوفه-

فقال: لولا أن أبا بصيرٍ – يقصد الأعشى - أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس !!...

فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها.

قال: حيث تقول ماذا؟

قال: حيث أقول:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى ... وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجـدَةٍ دَما

وَلَدنا بَني العَنقاءِ وَاِبني مُحَـــرَّقٍ ... فَأَكرِم بِنا خالاً وَأَكرِم بِذا اِبنَما

-ومعنى البيتين أن حسان رضي الله عنه يفخر بقومه وكرمهم ،وأن لهم جفان ضخمة أي أوعية ضخمة للطعام ، تنصب في الضحى ليأكل منها الناس، وفى الوقت نفسه فهم شجعان وأسيافهم تقطر دما من كثرة نجدة الناس ، ثم يفخر بأنهم أخوال لهذين الحيين ( بني العنقاء ) و ( ابني محرق ) فأكرم بهم أخوالا وأكرم بهم أبناء

وكلمة ( ابنما ) تعنى ابن ، ويجوز زيادة ( ما ) فيها- .

فقال: إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك.

وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت " الجفنات " فقللت العدد ولو قلت " الجفان " لكان أكثر. وقلت " يلمعن في الضحى " ولو قلت " يبرقن بالدجى ". لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً. وقلت: " يقطرن من نجدة دماً " فدللت على قلة القتل ولو قلت " يجرين " لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً"

"فنقد النابغة لحسان نقد سديد ويتصل بالبلاغة بصلة ما،لأن حسانا لم يجمع الجفنات والأسياف جمعا يدل على الكثرة،والعرب تستحب المبالغة في مواطن الفخر بالكرم والشجاعة"

وما يروى أيضا عن زوجة امرئ القيس-أم جندب- التي عرض عليها أن تحكم بين زوجها وعلقمة الفحل،فحكمت للأخير وقالت لزوجها :علقمة أشعر منك فقال :كيف؟ فقالت: أنت تقول:

فللسوط ألهوب وللساق دِرّة وللزجر منه وقعُ أخرجَ مُهذِب

فجهدت فرسك بسوط في زجرك،ومريته فأتعبته بساقك ،وقال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانه يمر كمر الرائح المتحلب

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه لم يضربه ولم يتعبه"

ومعنى بيت امرئ القيس أنه إذا مس فرسه بساقه ألهبه الجري، أي جريا شديدا كالتهاب النار، وإذا مسه بسوطه در بالجري كما يدر السيل والمطر، وإذا زجره بلسانه وقع الزجر منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل له

وأما علقمة فهو يصف فرسه بأنه سريع الجري، وأنه لم يُضرب ليجري وإنما كان يثني له عنانه أو لجامه، فهو سريع يمر مثل السحاب.

2-**البلاغة العربية في صدر الإسلام**

إن العرب قد عرفوا بالبلاغة وخصوا بالفصاحة، وكانت هذه المزية مجال الافتخار وموطن الشرف والاعتزاز، غير أن إمكانية وجود رؤية واضحة حول طبيعة ذلك السر الجمالي الذي حذقوه ،لم يكن ليعلم بحكم وجود غريزة لغوية، وحس مرهف يمكن تحديد الحسن من الرديء ،أضف إلى هذا غياب النموذج الذي منه وعلى أساسه يمكن تصنيف كلامهم ،وإلباسه لباس الحسن والقبح.

إن أهم حدث في تاريخ العرب هو نزول القرآن،وأهم شيء فيه أن تحداهم فيما برعوا فيه،وجعل عجزهم على ذلك دلالة على صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

فتحداهم أن يأتوا بمثله" فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ "

وتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله: "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ "

وتحداهم أن يأتوا حتى بسورة من مثله :"أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ"

إذا فقد"تحداهم القرآن ،والكلام كلامهم،وهو سيد عملهم،قد فاق بيانهم وجاشت به صدورهم،وغلبتهم قوتهم عليه عند أنفسهم،حتى قالوا في الحياة والعقارب،والذئاب ،والكلاب،والخنافس والجعلان والحمير والحمام وكل ما دب ودرج ولاح لعين،وخطر على قلب،ولهم بعد أصناف النظم،وضروب التأليف كالقصيد والرجز والمزدوج والمجانس والأسجاع والمنثور،،وبعد فقد هجوه من كل جانب،وهاجى أصحابه شعراءهم ونازعوا خطباءهم وحاجوه في المواقف،وخاصموه في المواسم وبادروه العداوة،وناصبوه الحرب،فقتل منهم ،وقتلوا منه...وهم يبذلون مهجهم وأموالهم،ويخرجون من ديارهم في إطفاء أمره،وفي توهين ما جاء به، ولا يقولون بل لا يقول واحد من جماعتهم:لم تقتلون أنفسكم وتستهلكون أموالكم،وتخرجون من دياركم،والحيلة في أمره يسيرة،والمآخذ في أمره قريبة،ليؤلف واحد من شعرائكم وخطبائكم كلاما في نظم كلامه،كأقصر سورة يخذلكم بها،وكأصغر آية دعاكم إلى معارضته"

لقد عجز العرب عن تقليد القرآن،وراحوا يعللون عجزهم ذلك بعديد المبررات التي لا تدل إلى على مدى العداوة التي حملوهها له،يروى أنه"اجتمع إلى الوليد بن المغيرة نفر من قريش،وكان ذا سن فيهم،وقد حضروا الموسم،فقال لهم:يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم،وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه،وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا،فأجمعوا فيه رأيا واحدا...قالوا:نقول:كاهن،قال:لا والله ما هو بكاهن،لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.قالوا:فنقول مجنون،قال ماهو بمجنون،لقد رأينا الجنون وعرفناه،فما هو بخنقه،ولا تخالجه ولا وسوسته.قالوا :فنقول شاعر،قال ما هو بشاعر،لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه،وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر.قالوا:فنقول ساحر،قال ما هو بساحر،لقد رأينا السحار وسحرهم،فما هو بنفثهم ولا عقدهم.قالوا :فما نقول يا أبا عبد شمس؟قال:والله إن لقوله لحلاوة،وإن عليه لطلاوة،وإن أصله لعذق،وإن فرعه لجناة،وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل،وإن أقرب القول فيه...لأن تقولوا ساحر،جاء بقوله،هو سحر يفرق بين المرء وأبيه،وبين المرء وأخيه،وبين المرء وزوجته،وبين المرء وعشيرته،فتفرقوا عنه بذلك" كما كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الاهتمام بالشعر والعناية بالشعراء

ومما ترويه لنا الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم نورد الأمرين التاليين:

أولا: قوله لحسان بن ثابت رضي الله عنه " قل وروح القدس يؤيدك " .

وثانيا:عند سماعه قول النابغة الجعدي .

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغي فوق ذلك مظهراً

فقال له:إلى أين المرتقى يا أبا ليلى : فقال إلى الجنة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم " لا فض فوك " .

كما عني الخلفاء الراشدون بكلامهم ومن ذلك ما يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه عرض لرجل معه ثوب فقال له : أتبيع الثوب ؟ فأجاب : لا عافاك الله فقال له أبو بكر : علمتم لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله "

وأكثر من هذا فقد "اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون،ولغوا فيه وهجروا،واتبعوا" مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ " بأفهام كليلة،وأبصار عليلة،ونظر مدخول،فحرفوا الكلم عن مواضعه،وعدلوه عن سبله،ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة،واللحن وفساد النظم والاختلاف،وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغُمر،والحَدث الغِر،واعترضت بالشبه في القلوب،وقدحت بالشكوك في الصدور"

إن وقوف العرب عاجزين عن محاكاة النموذج الأعلى"القرآن" قد أثر عليهم من ناحيتين:

- عدم إمكانية تقليده ولو بآية جعلهم يشعرون بالنقص ،بل وأكثر من ذلك فقد خارت قواهم وجفت قرائحهم ليتهموا النبي في الأخير بأنه ساحر ، ويظهر ذلك في قوله تعالى في سورة المدثر" إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ،ثُمَّ نَظَرَ ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ." والملاحظ للتهمة هذه يجدها خارجة عن الخطاب القرآني في حد ذاته، بمعنى وجود قوة خارجة عن ذات القرآن،حتى يعطوا لأنفسهم الذرائع ويقيموا على الآخرين الحجج.

- إيمان العرب فيما بعد بالقرآن قد جعلهم يثيرون العديد من الأسئلة حول حقيقة السر الذي منعهم من محاكاة القرآن في مرحلة ما قبل الإيمان، ولهذا وجد أعمق سؤال أدرك على أعظم كتاب أنزل وهو"إذا كان هذا القرآن معجزا ،فأين مكمن هذا الإعجاز؟.

إن دوران رحى البحث حول إعجاز القرآن الكريم قد أفرز العديد من الدراسات التي رام كل جانب منها أن يؤدي دوره ليثبت منه إعجازه، وبتعبير آخر ،فإن القرآن الكريم كان بمثابة المركز وكل الدراسات حامت حوله بصفتها أطرافا خاضعة له وتابعة إليه.

من هذا المنطلق ندرك أن الدرس البلاغي لم يكن غاية في حد ذاته، وإنما كان وسيلة تهدف إلى غاية أسمى منه وهو إثبات إعجاز القرآن الكريم، لكننا في المقابل نقر بأن رحلة الدرس البلاغي قد عرفت طريقها الصحيح باحتكاكها بالنموذج الأعلى"القرآن"

انطلاقا مما سبق ذكره ،يتبين لنا أن الدرس البلاغي لم يكن مقصودا في حد ذاته،وإنما كان لغاية عظمى وهي محاولته البحث عن مواطن الإعجاز من خلال أساليب العرب ،وطرائق تعبيرهم في فنون القول المختلفة، وما يؤكد هذا الطرح أن أول كتاب يتصل بالبلاغة قد عنون بـ"مجاز القرآن"لأبي عبيدة ،وكان سبب تأليفه هو البحث في هذا المضمار.

ويؤيد هذا الطرح أيضا قول أبي هلال العسكري:"إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ،بعد المعرفة بالله جل ثناؤه،علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى،الناطق بالحق ، الهادي إلى سبيل الرشاد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوة؛ التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفار ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها" كما أن إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني قد عنون كتابه الذي خصه لعلم المعاني بـ"دلائل الإعجاز"وبسط فيه أهم نظرية في الدرس البلاغي،ثم أعاد تطبيقها في كتابه"أسرار البلاغة"، أما صاحب الكشاف فقد أولى عناية بالغة لعلمي المعاني والبيان ،ولهذا افتتح كتابه بالحديث عنهما واعتبرهما "علمين مختصين بالقرآن" كما اعتمدهما كأساس لتفسير القرآن الكريم ،ولا غرو فهو يعتبر "البيان" مرادفا "للكشف" .

ومن هنا،نشأت العديد من الدراسات التي حامت حول القرآن وكانت ترمي أحد أمرين:

الأول:الدفاع عن القرآن الكريم

ثانيا معرفه كنه هذا الإعجاز

وكانت جل هذه الدراسات عبارة عن موسوعات جمعت العديد من العلوم حولها ،كون هذه المرحلة لم تعرف بعد ما يعرف بالتخصص العلمي

إننا سنحاول التطرق إلى أهم تلك الدراسات معتمدين في ذلك على التصنيفات التي أقرت فيما بعد،:

3-**البلاغة في عصر بني أمية**

كثرت الملاحظات البلاغية في عصر بني أمية كثرة عظيمة،وكان ذلك راجعا للعديد من الأسباب نذكر منها:

-تحضر العرب واستقرارهم في المدن والأمصار .

- رقي الحياة العقلية بسبب ازدهار العلوم وتطورها .

-ظهور الطوائف السياسية والفرق الكلامية، وكثرة جدالهم في الأمور السياسية والعقدية؛ فكان هناك الخوارج والشيعة والزبيريون والأمويون ، والمرجئة والقدرية والمعتزلة .

إن هذه الأمور وغيرها قد كان لها الأثر البالغ في إعادة خلق مناخ بلاغي ساهم في تطوير الملاحظات البلاغية سواء أكانت متعلقة بالنثر كالخطابة مثلا أم بالشعر والشعراء .

ولهذا انتشرت الخطابة وتعددت ألوانها من سياسية، وحفلية، ووعظية،

ففي السياسة يشتهر زياد، والحجاج.

ففي زياد يقول الشعبي: "ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفا من أن يسيء إلا زيادا فإنه كلما أكثر كان أجود كلاما"

وفي الحجاج يقول مالك بن دينار"ربما سمعت الحجاج يخطب،يذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم،فيقع في نفسي أنهم يظلمونه وأنه صادق،لبيانه وحسن تخلصه بالحجج"

ومن خطباء المحافل نجد كلا من سحبان بن وائل، ، سحار العبدي، الذي راع معاوية بخطابته، فسأله ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز؛ ولهذا اشتهر أن البلاغة الإيجاز، وقال له معاوية : وما الإيجاز؟ قال سحار: "أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ".

أما خطباء الوعظ، ففي مقدمتهم الحسن البصري، وواصل بن عطاء.

كما كان لمجالس الخلفاء والولاة و الأندية الأدبية كسوق المًربد في البصرة وسوق الكُناسة في الكوفة الأثر البالغ في ازدهار الملاحظات البلاغية، إذ كانت تعد بمثابة ملتقيات علمية يجتمع فيها صناع الكلام وأرباب الأذواق وكل منهم يطرح بضاعته.

واستطاع جرير، والفرزدق، أن يتطورا في سوق المربد بفن الهجاء القديم، فإذا بهذا السوق يصبح مناظرة واسعة في حقائق عشيرتي الشاعرين، وحقائق قيس وتميم، ويحاكيهما كثير من الشعراء، ويتجمع لهم الناس يصفقون كلما مر بهم بيت نافذ الطعنة، ويهتفون، ويصيحون.

ويمكننا أن نورد الأمثلة التالية:

ومن ذلك ما روي عن الحجاج حين أنشدته ليلى الأخيلية قولها :

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضةً تتبع أقصى دائها فشفاها

شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هزّ القناة ثناها

فقال لها الحجاج لا تقولي غلام ، ولكن قولي همام .

لأن لفظ الغلام يشعر بالصبوة والنزق والجهل .

- ‏‎‎مدح جرير الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقال‎ :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ســـاقكم إلي قطينا‎

فلما سمعه عبد الملك قال : ما زاد على أن جعلني شرطيا - والله لو قال ( لو شاء ) لسقتهم إليه قطينا‎ .

وقد أخطا جرير في قوله ( شئت ) بإسناد الفعل لنفسه ، وجعل الخليفة شرطيا عنده - وهذا لا يليق بمقام ‏الخليفة ، ولو استبدل كلمة ( شاء ) أي الخليفة مكان ( شئت ) لحظي بما يريد‎ .‎‏ ‏

كما ازدهرت الخطابة بجميع ألوانها من سياسية وحفلية ووعظية،وكان من الخطباء زياد والحجاج

4- البلاغة العربية في العصر العباسي:

وتميز هذا العصر بتطور الملاحظات البلاغية وكان مرد ذلك إلى:

-تطور فني الشعر والنثر بسبب تطور الحياة العقلية والحضارية والذي فرضته حركة الترجمة،فقد ترجم ابن المقفع عن الفارسية كتبا كثيرة منها كليلة ودمنة وأجزاء من منطق أرسطو طاليس،وكان من آثار ذلك ظهور طائفتين من الشعراء؛إحداهما تميل إلى ضرورة أن يقترب الشعر من لغة الشعب اليومية فيمس جميع قلوب الناس وكان منهم أبو العتاهية،وأخرى تميل إلى قوة الرصف وفخامتة وجزالته ومنهم مسلم الذي كان يعنى كثيرا بالصور البيانية والمحسنات البديعية

-ظهور كتاب الدواوين،فقد كانوا يختارون من الفصحاء البلغاء وقد نوه الجاحظ بهم حيث يقول:أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب،فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولاساقطا سوقيا"

ومن الكتاب نجد جعفر بن يحي البرمكي الذي يقال عنه:كان جعفر بليغا كاتبا،وكان إذا وقع نسخت توقيعاته وتدورست بلاغاته"

-نشوء طائفتين من المعلمين :طائفة المتكلمين الذين كانوا يعنون بتعليم الشباب فن الخطابة والمناظرة من أجل الدفاع عن القرآن الكريم أو تأييد آرائهم،وطائفة اللغويين والنحويين الذين كانوا يحترفون تعليم اللغة ومقاييسها في الاشتقاق والإعراب معتمدين في ذلك على شرح الأبيات الشعرية وتبيين خصائصها الأسلوبية ومعرجين في الوقت ذاته على ما فيها من الصور البيانية والمحسنات البديعية.

**ويمكننا أن نقسم هذا العصر إلى أربعة أقسام**

**-مرحلة نشوء الملاحظات البلاغية**

**-مرحة نمو الملاحظات البلاغية**

**-مرحلة ازدهار الدراسات البلاغية**

**-مرحلة الجمود**

أ-**مرحة نشوء الملاحظات البلاغية**:وفي هذه المرحلة تم وضع البذور الأولى للدرس البلاغي من خلال وضع بعض التأليفات التي يمكننا أن نقسمها إلى الطوائف التالية:

-طائفة اهتمت بدراسة القرآن الكريم :وهي التي رامت دراسة جوانب في القرآن الكريم فكان أن طرحت العديد من القضايا البلاغية ويمكننا أن نطرح في هذا المقام ما ألفه أبو عبيدة والفراء وابن قتيبة

-مجاز القرآن لأبي عبيدة)209ه(

تروي لنا كتب التراجم عن سبب تأليف أبي عبيدة لهذا الكتاب أنه كان يوما في مجلس الفضل بن الربيع فسأله إبراهيم بن إسماعيل أحد كتاب الفضل عن قوله تعالى في شجرة الزقوم في سورة الصافات" طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ " وكيف يشبه الله سبحانه وتعالى طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين على سبيل التخويف والوعيد، والعادة في التخويف والوعيد أن يكون بما هو مألوف للناس ومعروف لديهم،والعرب لم يروا الشيطان حتى يخيفهم بتشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوسها، فأجابه أبو عبيدة بأن الله سبحانه وتعالى إنما خاطب العرب على قدر كلامهم،فامرؤ القيس يقول في توعد خصمه:

أيقتلـني والمشرقي مضاجـعي ومسننة زرق كأنيــاب أغوال

والعرب لم يروا الغول قط، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، وقد استحسن الفضل هذا الجواب واستحسنه السائل، ومنذ ذلك الحين عزم أبو عبيدة على وضع كتاب عن مثل هذه الأساليب في القرآن الكريم، ولما عاد إلى البصرة وضع كتاب "مجاز القرآن"

وترجع أهمية الكتاب البلاغية إلى عدة أمور منها:

أولها:أنه أول دراسة تصلنا،تعكس مراحل تطور الدراسات البيانية لأسلوب القرآن.

وثانيها:أنه ول دراسة تتصل بلغة القرآن.

وثالثها:أن هذا الكتاب يعد المرجع الأساسي لكثير من الدراسات اللغوية والأدبية التي تلته.

ورابعها:أن هذا الكتاب يعد شركة بين التفسير وعلوم اللغة والبلاغة

-**معاني القرآن للفراء207) ه**(

**ابن قتيبة(276ه) في كتابة تأويل مشكل القرآن**

**طائفة المتكلمين:**وهم الذين كانوا يعنون بتعليم الشباب فن الخطابة والمناظرة لتأتييد آرائهم وإفحام خصومهم ونذكر منهم الجاحظ:في كتابه البيان والتبييين والحيوان

الجاحظ(255):في كتابيه البيان والتبيين والحيوان

**طائفة اللغويين**: وهم الذين كانوا يحترفون تعليم اللغة ومقاييسها في الاشتقاق والإعراب

سيبويه(180هـ) في كتابه الكتاب

ثعلب(291ه) في كتابه قواعد الشعر

**ميزات هذه المرحلة:**

عدم التبويب العلمي

اضطراب مدلول المصطلحات

اختلاط قضايا البلاغة بالعلوم الأخرى

عدم وضوح علوم البلاغة الثلاثة

ب-**مرحلة نمو الدراسات البلاغية**

لقد كان ازدهار الدراسات البلاغية راجعا بصورة كبيرة إلى تلك التيارات الفكرية والمذاهب الدينية التي عملت على تطوير مفاهيمه،وتعميق مضامينه،إذ أدلى كل منهم برأيه،

ونحن سنقوم بتقسيم الجهود التي حامت حول البلاغة إلى لغويين وأدبيين ومتكلمين ونقاد وفلاسفة-وإن كانت هذه التقسيمات غير مطلقة ،فهم جميعا موسوعيون،لكننا آثرنا تصنيفهم وفق النمط الغالب عليهم

وهذه البيئات هي:

**بيئة النقاد البلاغيين**:ونجد كلا من:

ابن المعتز)296ه( في كتابه البديع

ابن طباطبا(322) في كتابه عيار الشعر

الآمدي (371) في كتابه الموازنة

عبد العزيز الجرجاني(392ه)في كتابه الوساطة

أبو هلال العسكري(395) في كتبه الصناعتين

ابن رشيق القيرواني(463) في كتابه العمدة

ابن سنان الخفاجي(466) في كتابه سر الفصاحة

**طائفة المتكلمين:ونجد كلا من:**

الرماني(386) في رسالته النكت في إعجاز القرآن

الباقلاني(403ه) في كتابه إعجاز القرآن:

القاضي عبد الجبار(415) في كتابه المغني في أبواب التوحيد والعدل

**3-مرحلة ازدهار الدراسات البلاغية:ويمثل هذه المرحلة** :

عبد القاهر الجرجاني(471) في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة

وأهم ما جاء به "نظرية النظم" حيث يبتدئ صاحب كتاب دلائل الإعجاز-بعد حمد الله والصلاة على رسوله مباشرة-بقوله"هذا كلام وجيز يطلع به الناظر على أصول النحو جملة، وكل ما به يكون النظم دفعة....معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام:تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"

الزمخشري(538ه) في كتابه الكشاف حيث طبق نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني

**د-مرحلة الجمود:ويمثل هذه المرحلة كل من:**

الرازي (544ه) في كتابه نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز

السكاكي (626) في كتابه مفتاح العلوم

-ابن مالك686 صاحب كتاب المصباح في علوم المعاني والبيان والبديع وهو تلخيص لكتاب المفتاح

-الخطيب القزويني 739سمى كتابه التلخيص وهو تلخيص لكتاب المفتاح ثم ألف كتابه الثاني "الإيضاح"وهو تلخيص لكتابه التلخيص

**المحاضرة الثالثة**

**دور المتكلمين في تطور البلاغة-المجاز عند المعتزلة**  
لقد نفى المعتزلة الصفات عن الله ورأوا أن ما ذكر منها،كالعالم والقادر والمريد،إنما هي أسماء للذات، فالذات هي الصفات،وحجتهم في ذلك أن القول بوجود هذه الصفات يعني تعدد القدماء، أما المقصود بكون القرآن كلام الله،"لأنه خلق الله من غير واسطة، وهذا هو الفرق بينه وبين كلامنا ، فكلامنا وألفاظنا تنسب إلينا، وأما القرآن فهو خلق الله مباشرة، والحروف التي نكتبها في المصحف أو ننطق بها من صنعنا،وإنما وجب التعظيم لها لأنها دالة على المخلوق لله"[[1]](#footnote-1)

ولهذا فإن الآيات التي يدل ظاهر معناها على التجسيم مثل الاستواء على العرش وإثبات الوجه واليد والجنب والساق والمجيء فقد قام المعتزلة بتأويلها تأويلا عقلانيا كما يلي:  
الاستواء: "الرحمان على العرش استوى" فسروا الاستواء بمعنى الاستيلاء والغلبة على العالم جملة وتجيز اللغة مثل هذا التأويل لكلمة الاستواء إذ قال أحد الشعراء:  
فلما علونا واستوينا عليه تركناهم صرعا لنمر وكاسر  
اليد: " يد الله فوق أيديهم" فسروا اليد بمعنى القوة والنعمة نسبة إلى دلالة اللغة التي ترى مثلا أن ما لي على هذا الأمر يد أي قوة ونجد في المعنى الثاني أيادي فلان علي كثيرة والمقصود نعمه.  
الجنب: "يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله" وقد فسر الجنب بالطاعة لأنه نجد في اللغة العربية اكتسب هذا الحال في جنب فلان أي في طاعته.  
الساق: "يوم يكشف عن الساق" فسروا الساق بمعنى الشدة.  
العين: "تجري بأعيننا" وفسروا العين بالصنع والعلم ونجد في اللغة جرى هذا بعيني أي حدث بعلمي.  
الوجه: "كل شيء هالك إلا وجهه" فسروا الوجه بمعنى ذات الله.  
المجيء: "وجاء ربك" فسرت بكونها جاء ميعاد ربك .

**المحاضرة الرابعة:**

**علم المعاني**

**تعريف علم المعاني:**  
لغة : جمع معنى ، والمعنى هو الشيء المقصود.  
اصطلاحاً : هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة،وما يتصل بها من الاستحسان وغيره،ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[[2]](#footnote-2)

ويعرفه الخطيب القزويني بقوله:"هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال…. وعلم المعاني يتألف من المباحث التالية:الخبر والإنشاء،أحوال الإسناد الخبري، أحوال متعلقات الفعل،القصر،الفصل والوصل، والمساواة والإيجاز والإطناب."[[3]](#footnote-3)

**الخبر**

الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه، وهو إفادة المخاطب أمرا في ماض من

زمن أو مستقبل أو دائم[[4]](#footnote-4)

**ركنا الخبر:** لكل جملة من جمل الخبر والإنشاء ركنان:

-محكوم عليه ويسمى مسندا إليه

-ومحكوم به ويسمى مسندا

مثل محمد مجتهد فقد أسندنا الاجتهاد لمحمد، ولذلك فالاجتهاد مسند ومحمد مسند إليه

**أضرب الخبر[[5]](#footnote-5) :** للمخاطب ثلاث حالات:

-أن يكون خالي الذهن من الحكم، وفي هذه الحال يلقى عليه الخبر خاليا من أدوات التوكيد، ويسمى هذا الضرب من الخبر **ابتدائيا**. مثل: "أخوك قادم"

-أن يكون مترددا في الحكم ، وفي هذه الحال يحسن توكيده له ليتمكن من نفسه، ويسمى هذا الضرب **طلبيا**. مثل: "إن أخاك قادم".

-أن يكون منكرا له، وفي هذه الحال يجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر على حسب إنكاره قوة وضعفا، ويسمى هذا الضرب **إنكاريا**. مثل: "والله إن أخاك قادم".

**الإنشاء**

**تعريف الإنشاء:**

**لغة**:الإيجاد والإحداث

**اصطلاحا**:هو مالا يصلح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب .وهو نوعان :

**-طلبي**: وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون بـ:

-الأمر نحو: قول أحمد شوقي: تخلق الصفح تسعد في الحياة به فالنفس يسعدها خلق ويشقيها

-النهي: كقول الشاعر: لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

-الاستفهام: نحو: ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

-التمني: نحو: يا ليت شعري وليت الطير تخبرني ما كان بين علي وابن عفانا

-النداء نحو: يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

**-غير الطلبي** :وهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ، وله صيغ كثيرة منها:

-التعجب نحو: وقوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ [[6]](#footnote-6).

-المدح: نحو:قول الشاعر: ألا حبذا عاذري في الهوى ولا حبذا العاذل الجاهل

-الذم نحو: "بئس العوض من التوبة الإصرار".

-القسم كقول الشاعر:لعمرك ما بالعلم يكتسب الغنى ولا باكتساب المال يكتسب العقل

-أفعال الرجاء كقول ذي الرمة :لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد أو يشفى شجي البلابل

-صيغ العقود:نحو:بعت ، واشتريت.

**الذكر والحذف**

**ب- حذف المسند إليه :**

حذف المسند إليه:يتوقف على أمرين:

**الأول:** وجود ما يدل عليه عند حذفه من قرينة.

**الثاني:** وجود المرجح للحذف على الذكر، ومن دواعي حذف المسند إليه

مايلي:

-**إذا كان مبتدأ:** ومن دواعي حذفه مايلي:

1-الاحتراز عن العبث ويكون في المواطن التالية:

-إذا وقع المبتدأ في جواب الاستفهام مثل قوله تعالى:وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (5) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ[[7]](#footnote-7) والتقدير:الحطمة نار الله الموقدة

-إذا وقع المبتدأبعد الفاء المقترنة بجواب الشرط مثل قوله تعالى "وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ**[[8]](#footnote-8)**والتقدير فالشاهدان رجل وامرأتان

-إذا وقع المبتدأ بعد القول وما اشتق منه كقوله تعالى) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ**[[9]](#footnote-9)** وتالتقدير:هم ثلاثة

**حذف المسند**

**دواعي حذف المسند الخبر**

1-الاحتراز عن العبث ويكون في:

-إذا جاءت الجملة التي يرد فيها الحذف جوابا عن استفهام علم منه الخبر مثل:إجابتك حاتم .في سؤال من أكرم العرب؟

-في الجملة الواقعة بعد إذا الفجائية مثل خرجنا من الدار فإذا المطر والتقدير:ينزل

-إذا كانت الجملة المحذوفة الخبر معطوفة على جملة اسمية أو معطوفا عليها جملة اسمية والمبتدآن مشتركان في الحكم مثل: قوله تعالى"أكلها دائم وظلها" والتقدير دائم

**التقديم والتأخير**

إذا بدأت بالفعل كان الشك فيه مثل: أقلت .وإذا بدأت بالاسم كان الشك في الفاعل، مثل: أأنت قلت هذا، ففي هذه الحالة،أنت لا تشك في الفعل إطلاقا ،وإنما في فاعله، ولهذا تشير إلى الفعل بقولك هذا

**التقديم والتأخير في النكرة**

هناك فرق بين قولنا :أجاءك رجل،وأرجل جاءك ،أن الأول متعلق بالسؤال عن المجيء في حد ذاته، أما في الثاني فالبحث يكون في جنس الجائي، أرجل هو أم امرأة، ويسقط معنى هذا الاستفهام على الخبر، فإذا قلت: رجل جاءني، كنت أجبت أحدا علم المجيء أنه كان من رجل لا امرأة، أما إذا قلت: جاءني رجل فأنت تخبر عن الفعل وهو المجيء.

**المحاضرة الخامسة**

**علـم البيـان**

**تعريف علـم البيـان:**

البيانُ فِي الُّلغَةِ: الظهور والوضوح والإفصاح، وما تبين به الشيء من الدلالة وغيرها؛ تقول بان الشيء بيانا: اتّضح، فهو بيّن، والجمع: أبْيناء، والبيان: الفصاحة واللَّسَن، وكلام بيّن: فصيح، وفلان أبْين من فلان، أفصح وأوضح كلاماً منه والبيان: الفصاحة واللَّسَن1،

عرَّفه الخطيب القزويني بقوله: "علم يُعرَف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة من تشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية"[[10]](#footnote-10)

**المجاز**

" ما أريد به غير المعنى الذي وُضع له في أصل اللغة"[[11]](#footnote-11)

**أنواعه**

لقد استقر أمر علماء البلاغة على تقسيم المجاز إلى قسمين

-مجاز عقلي وهو الذي يكون في إسناد الفعل أو ما في معناه على غير ما هو له ويسمى المجاز الحكمي والإسناد المجازي ولا يكون إلا في التركبب

-مجاز لغوي وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة، وقد تكون غيرها. والقرينة قد تكون لفظية وقد تكون حالية.

ويكون هذا المجاز في المفرد كما يكون في التركيب وهو نوعان:

الاستعارة وتكون العلاقة فيها بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة

المجاز المرسل:وتكون العلاقة فيه غير المشابهة وسمي مرسلا لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة

**علاقات المجاز العقلي**

- علاقة السببية: يقول الله سبحانه حكاية عن فرعون: "وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ"[[12]](#footnote-12)  
في هذه الآية نجد يشبه في تحليله المثال السابق، فالفعل "ابنِ" أسند إلى غير فاعله الحقيقي؛ فإن هامان - وهو الوزير والمستشار - لا يَقوم بفعل البناء بنفسه، وإنما من يقوم بالفعل هم العمال والبناؤون، وهو من يعطي الأمر، ولكن لمّا كان هذا الوزير سببا فِي بناء الصرح، أسند الفعل إليه، فعلاقة هامان بالبناء علاقة سببيَة، ولأن الفعل أسند إِلى سببه، وهذا الإِسناد غير حقيقيّ، لأن الإسناد الحقيقي هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي، فالإسناد هذا مَجازي.

2- علاقة الزمانية: يقولُ الشَّاعِرُ:  
سَتُبدي لَكَ الأَيّامُ ما كُنتَ جاهِلاً وَيَأتيكَ بِالأَخبارِ مَن لَم تُزَوِّدِ

في هذا البيت إسناد الإبداء إلى الأيام ،والأيام لا تبدي ولا تظهر، وإنما كل ما في الأمر أنها زمان لحصول الإبداء،وهنا أراد الشاعر أن يقول:إن حوادث الأيام ستبدي لك،ولما كانت الأيام زمنا لحصول الإبداء قلنا إن هذا مجاز عقلي علاقته الزمانية.  
3- علاقة المكانية: يقولُ الشاعر   
مَلكْنا فكان العَفْوُ منَّا سَجيَّةً          فلمَّا مَلَكْتُمْ سالَ بالدَّمِ أبْطَحُ

في هذا البيت أسند سيلان الدم إلى أبطح وهو المكان الي يسيل فيه فنقول هذا مجاز عقلي علاقته المكانية".

4- علاقة المصدرية: يقولُ أبُو فِراسٍ الحَمْدَانِيُّ:  
سَيَذكُرُني قَومي إِذا جَدَّ جِدُّهُم وَفي اللَيلَةِ الظَّلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ  
فقد أسندَ الجِدَّ إلى الجِدِّ، أي الاجتهادِ، وهو ليسَ بفاعلِ له، بل فاعلُه الجادُّ - فأصله جدَّ الجادُّ جدًّا، أي اجتهدَ اجتهاداً، فحذفَ الفاعلَ الأصليَّ وهو الجادُّ، وأسندَ الفعلَ إلى الجِدِّ وهو مصدرُ الفاعلِ الحقيقيّ, ولِهَذَا كانت علاقة الإسنادَ المجازيَّ هُنَا هي "المصدريةٌ".  
5- علاقة الفاعلية: يقولُ اللهُ - تَعَالَى-: وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا[[13]](#footnote-13)  
الحجاب في أصله ساتِر, وليس مستورا، وهنا نقول: أسند الوصف المبنيّ للمفعول إلى الفاعل، وكان حقّه أن يسند الى المفعول: لأن اسم المعفول يطلب نائب فاعل أي: مفعولا، لا فاعلا، فإذا أسند إلى الفاعل كانَ هذا مَجازا عقليّا علاقته "الفاعليّة". ومثاله أيضا قوله تعالى: "إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا"[[14]](#footnote-14).  
6- علاقة المفعولية: يقول الله -تعالى-: "أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا"[[15]](#footnote-15).  
الحرم لا يكون آمنَا, لأن الإحساس بالأمن من صفات الأحياءِ، وإنما هو مأمون فيه، فاسم الفاعل - هنا - أسند إلى المفعول، فهذا مجاز عقلي علاقته المفعولية.

**المجاز المرسل:**

تعريفه: كلمة استعملت في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي ،وسمي مرسلا لأنه غير مقيد بعلاقة معينة على خلاف الاستعارة التي لها علاقة واحدة وهي المشابهة .  
ولابد في المجاز المرسل ،كغيره من أنواع المجاز، من قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي، وهذه القرينة قد تكون مقالية أي موجودة في الكلام أو حاليةأي دلالة الحال الذي فيه الكلام وقد تكون عقلية فلو قلنا مثلاً : "رعينا الغيث"لوجدنا أن كلمة "الغيث" قد استعملت في معنى العشب والكلأ بقرينه "رعينا" لأن الغيث لا يرعى ،وإنما يرعى العشب .وهي قرينة مقالية، والعلاقة بين الغيث والعشب أن الغيث هو سبب العشب . فالعلاقة هنا سببية، وإنما يعبر بالسبب عن المسبب للتدليل على التأثير العظيم للسبب في المسبب .  
**أنواع العلاقات في المجاز المرسل :**  
- السببية : مثل رعينا الغيث ، وقد تقدم بيان ذلك.  
- الجزئية : وذلك عندما يعبر بالجزء والمراد الكل كقوله تعالى "فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ[[16]](#footnote-16)"وكذلك قولهم: أرسل القائد عيونه، والمراد جواسيسه .ففي كل ذلك جاء التعبير بالجزء وأريد الكل ،فالعلاقة جزئية ، ويعبر بالجزء للتدليل على أثر ذلك الجزء في الكل بحيث لو فُقِد ما كان للكل قيمة أو تأثير.  
- الكلية : وذلك عندما يعبر بالكل والمراد الجزء كقوله تعالى "يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ[[17]](#footnote-17)" والمعلوم أن الإصبع لا يمكن أن يجعل بكامله في الأذن، ولكن الذي يجعل في الأذن هو الأنملة، ولكنه أراد بيان حال المنافقين الذين أخافتهم أصوات الرعد، وكان لا بد من إظهار شدة الخوف من ذلك الصوت ،فلم يكن التعبير "يجعلون أناملهم "لأنهم في موقف خوف وذعر ومثل ذلك قول القائل: شربت ماء الفرات، أي بعضه، ويعبر بالكل عن الجزء للتدليل على المبالغة في الشيء.  
- المحلية : وذلك بأن يكون اللفظ المستعمل محلا، والمعنى المراد ما حل فيه مثل قوله تعالى "فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ**[[18]](#footnote-18)**" والنادي هو مكان اجتماع القوم ،وهو لا يدعى، وإنما يدعى أهله ،لكن عبر بالمكان عمن حل فيه للتدليل على كثرة من حل فيه، حتى كأنك تدعي أن الكل مراد: الأشخاص والمباني.  
- اعتبار ما سيكون: وهو أن يسمى الشيء باسم ما سوف يصير إليه في المستقبل كقوله تعالى "إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا[[19]](#footnote-19)" فكلمة "خمرا" مقصود منها هنا " العنب"؛ لأن الذي يعصر هو العنب لا الخمر ، وعبر بالخمر دونه باعتبار ما سيكون؛ لأن العنب إذا عصر سيكون خمرا.  
- اعتبار ما كان: وذلك بأن يسمي الشيء المستعمل باسم ما كان عليه من قبل كقوله تعالى "وَآَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ[[20]](#footnote-20)" حيث سمى البالغين الذين أنس منهم الرشد " يتامى"، ومعلوم أن اليتيم لا يعطى المال إلا إذا بلغ، وإذا بلغ زال عنه اسم اليتم، وسر ذلك هو التذكير بحالهم ؛فإن الوصي ربما إذا رأى اليتيم قد بلغ واشتد عوده جحد بعض ماله بحجة أن اليتم زال عنه، فذكّره الله عند دفع المال بالحالة الموجبة للعطف والشفقة وهي اليتم، ليلين قلبه ويعطف على ذلك اليتيم ويعطيه حقه كاملاً.  
ولمعرفة نوع العلاقة في المجاز المرسل ينظر في اللفظ المستعمل فإذا كان الجزء فهي جزئية وإن كان الكل فهي الكلية وهكذا.

**التشبيه**

التشبيه لغة:الشبه. والشبيه:المثل،وأشبه الشيء ماثله،وأشبهت فلانا وشبهته واشتبه علي ،وتشابه الشيئان اشتبها:أشبه كل واحد منهما صاحبه،والتشبيه:التمثيل"[[21]](#footnote-21).[[22]](#footnote-22)

لقد افتتن اللغويون بالتشبيه أكثر من غيرهم لأنه"كان أكثر الأنواع جذبا لانتباههم وأكثرها إثارة لإعجابهم...إذ إن أداته تجعله أول ما يلفت انتباه المتلقي للشعر،فضلا عن أن كثرته الملحوظة في الشعر الجاهلي أمر لفت انتباه اللغويين لفتا شديدا دائما"[[23]](#footnote-23)

وإن افتتانهم بالشعر جعلهم يقرنون الشاعرية به ، فذو الرمة يقول"إذا قلت:كأن ،فلم أجد وأحسن، فقطع الله لساني"[[24]](#footnote-24)

وهو ما ذهب إليه حماد حين يقول"أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس،وأحسن أهل الإسلام تشبيها ذو الرمة"[[25]](#footnote-25)

وأكثر من ذلك، فقد كان اللغويون يحكمون على الشاعر بمدى قدرته على التشبيه، فيقول ابن سلام عن امرئ القيس"كان أحسن طبقته تشبيها، وأحسن الإسلاميين تشبيها ذو الرمة"[[26]](#footnote-26)

**ب- أركان التشبيه:**

أركان التشبيه أربعة هي:

1. المشبه والمشبه به ويسميان طرفا التشبيه وهما إما:

1-1-حسيان بمعنى أنهما يدركان بإحدى الحواس فيكونان:

-من المبصرات كقوله تعالى :" كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ "[[27]](#footnote-27) فالجامع بينهما هو البياض والحمرة

-من المسموعات كتشبيه الصوت الجميل بصوت البلبل

-من المذوقات كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل

-من المشمومات كتشبيه رائحة الفم بالمسك

2-1عقليان: بمعنى أنهما يدركان بالعقل كتشبيه العلم بالحياة والجهل بالموت

3-1مختلفان بأن يدرك أحدهما بالحس والآخر بالعقل كتشبيه المنية بالسبع

2-وأداة التشبيه وهي كل لفظ يدل على المشابهة والمماثلة وهي إما:

-حرفان:وهما الكاف وكأن

-أسماء :وهي مثل ،وما في معناها ،كلفظة نحو،أو ما يشتق منها نحو مماثل ومشابه

-أفعال:وهي يشبه ويشابه ويماثل ويضارع ويحاكي ويضاهي

3-ووجه الشبه ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه.كقول الشاعر:

أنت كالليث في الشجاعة والإقـ ـدام والسيف في قراع الخطوب

**ج- أقسام التشبيه**:

يقسم البلاغيون التشبيه باعتبار أركانه إلى ما يلي:

باعتبار الأداة:يقسم قسمين

التشبيه المرسل :وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه كقول الشاعر

العمر مثل الضيف أو كالطيف ليس له إقامة

التشبيه المؤكد: هو ما حذفت منه أداة التشبيه كقول الشاعر

كل عيش ما لم تطبه حمام ... كل شمس ما لم تكنها ظلام

باعتبار وجه الشبه يقسم إلى مما يلي:

أ –المجمل والمفصل

والمجمل هو: ما حذف منه وجه الشبه.مثل: "العالم سراج أمته".

وأما المفصل فهو: ما ذكر فيه وجه الشبه.كقول الشاعر:

أنت كالشمس في الضياء وإن جا وزت كيوان في علو المكان

ب-تمثيل وغير تمثيل

فتشبيه التمثيل هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد كقول الشاعر:

وتراه في ظلم الوغى فتخاله قمرا يكر على الرجال بكوكب

فالمشبه فارس بيده سيف لامع يشق به ظلام غبار الحرب، والمشبه به قمر متصل به كوكب يشق ظلمة الفضاء، ووجه الشبه هو تلك الصورة المركبة من شيء مضيء يلوح بشيء متلألئ وسط الظلام

وأما التشبيه غير التمثيل فهو ما كان وجه الشبه فيه ليس منتزعا من متعدد، ومن أمثلته قول البحتري

هو بحر السماح والجود فازدد منه قربا تزدد من الفقر بعدا

التشبيه القريب والتشبيه البعيد وذلك كون وجه الشبه يحصل تعيينه بصورة بسيطة أو معقدة

**التشبيه البليغ:"** وهو: ما حذفت منه الأداة ووجه الشبه.نحو: "علي أسد"

**ل- التشبيه الضمني:**هو: تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب.

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند على المشبه ممكن الوقوع.كقول الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

فقد شبه حالة من يرضى بالذل والمهانة بحالة الميت الذي لا يشعر بألم الجرح ، وهذا غير مصرح به بل فهمناه من مضمون الكلام ، فالشطر الثاني تشبيه ضمني حيث جاء دليلاً على صحة المعنى الذي جاء في الشطر الأول

**الاستعارة**

**أقسام الاستعارة:** الاستعارة من المجاز اللغوي وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائما، وقد قسمها البلاغيون انطلاقا من الاعتبارات التالية

أ-من حيث ذكر أحد طرفيها إلى استعارة تصريحية ومكنية:

1. تصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به.

كقوله تعالى: وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ[[28]](#footnote-28)

فقد شبه الكفر وهو محذوف بالظلمات وهو مصرح به.

وقول المتنبي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

فقد شبه سيف الدولة وهو محذوف بالبحر وهو مصرح به، فالعلاقة المشابهة ،والقرينة المانعة من إرادة المغنى الحقيقي لفظية وهي "أقبل يمشي في البساط"

مكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه.

كقول الشاعر:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقد شبه الموت بالحيوان المفترس. فحذف المشبه وذكر أحد لوازمه وهو أنشبت أظفارها

ب:من خلال اللفظ المستعار إلى أصليه وتبعية:

- تكون الاستعارة أصلية إذا كان اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا.

كقول الشاعر يرثي ابنا صغيرا له:

يا كوكبا ماكان أقصر عمره وكذاك عمر كواكب الأسحار

فقد شبه ابنه بالكوكب بجامع الصغر وعلو الشأن على سبيل الاستعارة التصريحية والقرينة هي النداء،وإذا نظرنا إلى اللفظ المستعار وجدناه اسما جامدا ولهذا سميت استعارة أصلية

تبعية إذا كان اللفظ الذي جرت فيه مشتقا أو فعلا.

كقول الشاعر يصف قصرا:

ملأت جوانبه الفضاء وعانقت شرفاته قطع السحاب الممطر

فقد شبه ملامسة السحاب للقصر بالمعانقة بجامع الاتصال في كل والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي "شرفاته"

وإذا نظرنا إلى اللفظ المستعار وجدناه اسما مشتقا ولهذا سميت استعارة تبعية

ج-:من خلال اللفظ الملائم إلى مرشحة ومجردة ومطلقة:

1- الاستعارة المرشحة: ما ذكر معها ملائم المشبه به

كقوله تعالى: أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ.

فهنا استعارة تصريحة حيث شبه اختيارهم بالاشتراء، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي " الضَّلاَلَةَ "

وإذا نظرنا إلى هذه الاستعارة وجدنا أنه قد ذكر معها ملائم المشبه به الاشتراء وهو "ربحت" ولهذا فعدت استعارة مرشحة

2- المجردة: ما ذكر معها ملائم المشبه.

كقول الشاعر:

وعد البدر بالزيارة ليلا فإذا ما وفى قضيت نذوري

فهنا شبه محبوبته بالبدر على سبيل الاستعارة التصريحية ،ولما ذكر ما يلائم المشبه وهو الزيارة والوفاء بها ولهذا فعدت استعارة مجردة

3- المطلقة: ما خلت من ملائمات المشبه به أو المشبه.

كقول الشاعر:يابدر يابحر ياغمامة يا ليث الشرى يا حمام يارجل

فالاستعارات التصريحية في هذا البيت خالية من ذكر ملائم للمشبه أو المشبه به

ولا يتم الترشيح أو التجريد إلا بعد أن تتم الاستعارة باستيفائها قرينتها لفظية أو حالية، ولهذا لا تسمى قرينة التصريحية تجريدا ولا قرينة المكنية ترشيحا

**هـ- الاستعارة التمثيلية:**

هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي

مثل:

* ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

يقال: لمن لم يرزق الذوق لفهم الشعر الرائع

فهنا شبه المتنبي الذي يعيبون شعره لعيب في ذوقهم بالمريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء الزلال

**الكناية**

**تعريف الكناية:**

لغة:. كنى ، يكني كناية : يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوه

اصطلاحا:لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى. والفرق بين المجاز والكناية أن القرينة في المجاز تمنع من إرادة المعنى الأصلي وفي الكناية لا تمنع .

مثل: "فلان طويل النجاد". فصفة " طول النجاد" غير مقصودة ،وإنما المقصود لا زم معناها؛ لأنه يلزم من طول النجاد الذي هو حمالة السيف، أن تكون قامة حامله طويلة. فهي كناية عن طول القامة .

**ب- أقسام الكناية:** تنقسم الكناية باعتبار المكني عنه ثلاثة أقسام:

أن يكون المكني عنه صفة:مثل:

* + "فلان كثير الرماد".كناية عن كرمه؛ يعني: يدل على كثرة الضِّيفان، وكثرة الطعام، وكثرة الإيقاد، وهذا كناية عن الكرم

أن يكون المكني عنه موصوفا:كقول الشاعر:

الضاربين بكل أبيض مِخذم والطاعنين مجامع الأضغان

ففي هذا المثال أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم يطعنون القلوب وقت الحرب فانصرف عن التعبير بالقلوب إلى ما هو أملح وأوقع في النفس وهو " مجامعُ الأضغان " ، لأنَّ القلوب تُفهم منه إذ هي مجتمع الحقد والبغض والحسد وغيرها.

أن يكون المكني عنه نسبة:كقول الشاعر:

إن السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

ففي هذا البيت أرادالشاعر أن ينسب السماحة والمروءة والندى فعدل عن نسبتها إليه مباشرة،ونسبها إلى مكانه وهو القبة المضروبة عليه

**المحاضرة السادسة**

**علم البديع**

**1-المحسنات اللفظية: ومنها**

**أ- الجناس**:وهو: أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى وهو نوعان:

**تام:** وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها، كقوله تعالى: " وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ "[[29]](#footnote-29).

**غير تام:** وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة، كقوله تعالى: "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ"[[30]](#footnote-30).

**ب-السجع:** هو: توافق الفاصلتين في الحرف الأخير.

نحو: "اللهم أعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا تلفا".

**جـ- الاقتباس:**هو: تضمين النثر أو الشعر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما.كقول الشاعر:

رحلوا فلست مسائلا عن دراهم أنا "باخع نفسي على آثارهم".

فهنا العجز مقتبس من قوله تعالى:" فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آَثَارِهِمْ"[[31]](#footnote-31)

**2-المحسنات المعنوية:ومنها:**

**أ- الطباق:**هو: الجمع بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان:

**طباق الإيجاب:** وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، كقوله تعالى: " هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ"[[32]](#footnote-32).

**طباق السلب:** وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا أو سلبا، كقوله تعالى: " يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ"[[33]](#footnote-33)

**ب- المقابلة:**هي: أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب

كقوله: "إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع".

**جـ-التورية:** هي: أن يذكر المتكلم لفظا له معنيان: قريب ظاهر غير مراد ،وبعيد خفي وهو المراد.

ومثاله قول الشاعر:

أصون أديم وجهي عن أناس لقاء الموت عندهم الأديب

ورب الشعر عندهم بغيض ولو وافى به لهم "حبيب"

فالمقصود بالحبيب أبوتمام،فهو حبيب بن أوس

**د- تأكيد المدح بما يشبه الذم**:

تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان:

-أن يستثنى من صفة ذم منفية صفة مدح، نحو:

ليس به عيب سوى أنه لا تقع العين على شبهه

أن يثبت لشيء صفة مدح ويؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى، نحو:

ولا عيب في معروفهم غير أنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر

**ه-تأكيد الذم بما يشبه المدح ضربان:**

-أن يستثني من صفة مدح منفية صفة ذم، نحو: "لا جمال في الخطبة إلا أنها طويلة في غير فائدة".

-أن يثبت لشيء صفة ذم ثم يؤتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى، نحو: "القوم شحاح إلا أنهم جبناء".

**و- أسلوب الحكيم:**

هو تلقي الخطاب بغير ما يرتقبه، إما بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال أو يقصد هذا المعنى.

كقوله تعالى: : " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ"[[34]](#footnote-34).

**المحاضرة السابعة**

**البلاغة والأسلوبية**

الأسلوبية : هي منهج تحليلي للأعمال الأدبية، يقوم بوصف النص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات ( )، وقد سبق مصطلح الأسلوب مصطلح الأسلوبية في الظهور؛ حيث ظهر الأول في القرن الخامس عشر الميلادي، أما الثاني فقد ظهر في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة على أيدي العلماء اللغويين الألمان والفرنسيين

وثمة تعريفات ثلاثة لمصطلح الأسلوب الذي يرادف مصطلح الأسلوبية وهي على النحو الآتي :( )

التعريف الأول : ويتم من منظور المنشئ، ويرى أن الأسلوب يعبر تعبيرا كاملا عن شخصية صاحبه ، ويعكس أفكاره وصفاته ، وهذا ما قصده الناقد الفرنسي " بوفون " بقوله : " الأسلوب هو الرجل .

التعريف الثاني : وهو ينبع من زاوية النص فيعتمد على فكرة الثنائية اللغوية التي تقسم النظام اللغوي إلى مستويين : الأول : مستوى اللغة، ويقصد به بنية اللغة الأساسية، والثاني : هو مستوى الكلام ويعني اللغة في حالة التعامل الفعلي بها، وهذا المستوى الثاني بدوره ينقسم إلى قسمين آخرين، أولهما الاستخدام العادي للغة، والثاني الاستخدام الأدبي لها، وهذا القسم أعني " الاستخدام الأدبي " هو مجال البحث الأسلوبي ؛ حيث يتم فيه الخروج عن المستوى العادي للغة وهو ما يشكل الظاهرة الأسلوبية .

الشكل التالي يوضح التقسيم الثنائي للغة )

وأما التعريف الثالث : فهو يتحدد من جهة المتلقي وأساس هذا التعريف أن دور المتلقي في عملية الإبلاغ مهم إلى الحد الذي يراعى فيه المخاطب حالة مخاطبه النفسية ومستواه الثقافي والاجتماعي ، وعلى المنشيء أن يثير ذهن المتلقي حتى يحدث تفاعلا بينه وبين النص واستجابة المتلقي ورفضه هما المحك في الحكم .

ومن خلال التعريفات الثلاثة نستنتج أن الأسلوب لا يمكن دراسته أو بحثه دون أن يرتبط ذلك بعناصر الاتصال ونعني بها : المؤلف، القارئ، النص، فالدراسة الأسلوبية تنصب على النص بوصفه وحدة واحدة وغايتها الأولى والأساسية غاية وصفية .

بين البلاغة والأسلوبية

بين الأسلوبية والبلاغة علاقة وثيقة تتمثل أساسا في أن محور البحث في كليهما هو الأدب ،غير أن التراث البلاغي لم يعد قادرا على الوفاء بما يقتضيه النص الأدبي، وقد عرض الدكتور محمد عبد المطلب بعض الجوانب التي تبين قصور البلاغة القديمة ومنها( ):

1- إن البلاغة معيارية خالصة اعتبر فيها البلاغيون من أنفسهم أوصياء على الإبداع الأدبي من خلال توصيات فندوها وجعلوها سيفا مسلطا على رقاب الأدباء.

2- إن الدراسات البلاغية أغفلت جوانب مهمة في الأداء الفني مثل الجوانب النفسية والاجتماعية .

3- إن الدراسات البلاغية وقفت عند جزئيات النص ، ولم تحاول الوصول إلى بحث العمل الأدبي الكامل .

كما ذكر الدكتور سعد مصلوح في كتابه " البلاغة العربية والأسلوبية اللسانية " عددا من أوجه الاختلاف بين البلاغة والأسلوبية ومنها ( )

1- إن البلاغة القديمة هي الشواهد المتفرقة والأمثلة المجتزأة ، فهي بلاغة الشاهد والمثال والجملة المفردة في معظمها ؛ أما الدرس اللساني فلا يأخذ مادته من الشاهد والمثال ، وإنما يعالج نصا أو خطابا أو مجموعة من النصوص يجمعها جامع واحد من مؤلف أو موضوع أو فن أو عصر .

2- يغلب على تقسيم علوم البلاغة وترتيب مباحثها وطرق الفحص فيها الطابع التفتيتي ؛ في حين تغلب على الأسلوبية تصورات البنية والنسق والعلاقات .

وأما عن أوجه الاتفاق بين البلاغة والأسلوبية، فنراها ماثلة بوضوح عند عبد القاهر الجرجاني في كتابه النفيس : " دلائل الإعجاز " ، فعندما صاغ آراءه في " النظم " لم يكن يبعد عن فكرة اختلاف الأسلوب باختلاف ترتيب الكلام ، وكانت دراسته في التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والتعريف والتنكير ، والإيجاز والاطناب .. وغير ذلك من وجوه المعاني ، وكذلك دراساته لأساليب الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية والتورية وغير ذلك من وجوه البيان ، كان ذلك كله قريبا من مفهوم الأسلوبية في المذاهب الغربية الحديثة

ويمكننا حصر أوجه الاتفاق في النقاط الآتية

1- يرى الجرجاني أن المنشيءيتصرف بالقواعد النحوية أثناء تشكيل النص وفق مبدأ الاختيار أو الانتقاء الذي يمليه عليه المعنى ، والجرجاني يتفق هنا مع مبدأ الانتقاء النحوي أو الانتقاء السياقي في الأسلوبية الحديثة .

2- اعتنى الجرجاني في كتابه " دلائل الإعجاز " بالتقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والفصل والوصل ، وغيرها من الموضوعات النحوية التي تسمى في العصر الحديث ب " قواعد النص " وهو العلم الذي يدرس قواعد اللغة بطريقة تهدف إلى ضبط قواعد البلاغة على أساس المعنى ، وهو بهذا يصهر قواعد النحو وقواعد البلاغة خدمة للمعنى

3- تناول الجرجاني أنواع المجاز وهي المجاز العقلي واللغوي والاستعارة وهذه المجازات تعرف ب " الانحراف الدلالي " عند الأسلوبيين المحدثين .

المبادئ العامة للتحليل الأسلوبي

ينطلق الأسلوبيون في تحليل النص الأدبي من مجموعة من المبادئ،وهي المبادئ الرئيسة التي تشكل المنهج الأسلوبي، والشكل التالي يوضح هذه المبادئ :

أولا مبدأ الاختيار :

وقد درج الأسلوبيون على تقسيم الاختيار على النحو التالي :

1- الاختيار النحوي : وهو اختيار المتكلم أو الكاتب كلمة وتفضيلها على أخرى لأنها أكثر تعبيرا عن المعنى ، أو أكثر تلائما مع القاعدة النحوية ، ومن أمثلة هذا النوع من الاختيار " الفصل والوصل " ، " والتقديم والتأخير " ، والذكر والحذف وغيرها .

2- الاختيار النفعي : وهو اختيار كلمة دون غيرها لتفادي رد فعل معين من السامع أو القارئ ، أو لأن اللفظ المختار أكثر انسجاما مع الموقف أو السياق ، على سبيل المثال اختيار كلمة " استشهد " أكثر انسجاما من " مات" أو " قتل " في مقام المقاومة .

3- الاختيار السياقي : وهو اختيار كلمة تؤدي معنى جديد في سياق محدد وأكثر أمثلة هذا النوع في الاستعارة .

ثانيا مبدأ الانزياح أو العدول

والانزياح أو العدول في الأسلوبية الحديثة يعني خروج الكاتب عن المعايير اللغوية بما يسمح به نظام اللغة ، وهذا المفهوم يتفق مع نظرية النظم عند الجرجاني التي تدعو الكاتب أو الشاعر أن يختار الأسلوب النحوي المناسب للسياق أو المقام ، فقد يستدعي السياق تقديما أو تأخيرا أوحذفا أوتعريفا أو تنكيرا أو غير ذلك ، وينبغي للمبدع أ ن يتصرف بقواعد النحو وفق مقتضيات السياق والمقام ، بشرط أن يحافظ على صحة الإعراب وما يقتضيه نظام اللغة .

ثالثا : السياق

قسم بعض الباحثين السياق إلى أربعة أنواع ، وهي : السياق اللغوي ، والسياق العاطفي ، وسياق الموقف ، والسياق الثقافي ( )، فالسياق اللغوي يعني اختيار الالفاظ المناسبة للسياق ، أما السياق العاطفي فيعني التوافق بين البعد النفسي للكاتب وما يختاره من ألفاظ وأساليب، وأما سياق الموقف فهو المقام أو المناسبة او الحدث الذي يعبر عنه النص ، وأما السياق الثقافي فهو البيئة الثقافية التي ينتمي إليها المبدع أو المتلقي.

مستويات التحليل الأسلوبي

حينما نختار قصيدة أو ديوان كاملا بهدف دراسة الظواهر الأسلوبية نجد أن الظواهر متعددة ومتنوعة، وهذه الظواهر يمكن تقسيمها إلى المستويات الآتية : ( الشكل التالي يوضح هذه المستويات )

**المحاضرة الثامنة**

**البلاغة والشعرية**

-تعريف الشعرية

لغة:تدل مادة"شعر" على العلم والفطنة،يقال:شعر به،أي علم،وأشعره به:أعلمه و"شعر به":عقله،كما تطلق على الكلام الموزون المقفى،يقال:"شعر رجل" أي قال الشعر.والشعر منظوم القول، وقائله: الشاعر، وسمي شاعرا، لفطنته،وشعْر شاعر"جيد":أريد بهذه العبارة المبالغة والإشارة...والشعر منظوم القول،غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية وإن كان كل علم شعرا

والشعرية مصدر صناعي مقابل للفظ الأجنبي poétique بالفرنسية أو poeticsبالإنجليزية،بيد أنه لم يحصل إجماع عند الدارسين والنقاد العرب حول ترجمة موحدة له، ومن ترجماتها ما يلي: :

الشاعرية: الإنشائية: "بويطيقا: نظرية الشعر، فن الشعر، فن النظم، الفن الإبداعي، علم الأدب،الشعرية:

اصطلاحا: لقد تعددت التعريفات الاصطلاحية للشعرية كتعدد ترجمتها،وهذا راجع بصورة مباشرة لطبيعة وجهة النظر التي يتبناها كل باحث، ويمكننا أن نذكر أهم تلك التعريفات وهي:

تودوروف: الشعرية عنده هي العلم الذي يسعى إلى "معرفة القوانين التي تنظم ولادة العمل...وهي تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته، وهذا العلم لا يعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن"

وتأسيسا على تعريفه هذا يكون"العمل الأدبي في حد ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي" .

ويمكننا في الأخير أن نقف إلى جنب التعريف الذي يجعل هدف الشعرية الكشف"عن قوانين الإبداع في بنية الخطاب الأدبي"

2-الشعرية عند العرب

لقد تم استعمال الشعرية عند العرب وفق مستويين:

الأول:اصطلاحي بحت:حيث تذكر اللفظة دون أي شحنات معرفية تم تبنيها حديثا .

الثاني: إجرائي؛ حيث لا يذكر المصطلح بنفسه ،لكن آلياته الفنية هي التي تكون حاضرة .

ونفصل ذلك فيما يلي:

أ-الشعرية كاصطلاح:

ذكر مصطلح الشعرية عند العرب القدامى في النصوص التالية:

الفرابي:حيث يقول:"والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها،فيبتدئ حين ذلك أن تحدث الخطيئة أولا ثم الشعرية قليلا قليلا"

ابن سينا:حيث يقول:إن السبب المولد للشعر في قوة الإنسان شيئان:أحدهما الالتذاذ بالمحاكاة... .والسبب الثاني حب الناس للتأليف المتفق والألحان طبعا،ثم قد وجدت الأوزان مناسبة للألحان، فمالت إليها الأنفس وأوجدتها،فمن هاتين العلتين تولدت الشعرية،وجعلت تنمو يسيرا يسيرا تابعة للطباع، وأكثر تولدها عن المطبوعين الذين يرتجلون الشعر طبعا، وانبعثت الشعرية منهم بحسب غريزة كل واحد منهم وقريحته في خاصته وبحسب خلقه وعاداته"

ابن رشد: حيث يقول:"وكثيرا ما يوجد في الأقاويل التي تسمى أشعارا ما ليس فيها من معنى الشعرية إلا الوزن ،كأقاويل سقراط الموزونة، وأقاويل انباقليدس في الطبيعيات بخلاف الأمر في أشعار أوميروش"

والملاحظ للفظ الشعرية من خلال الأقوال السابقة يدرك بحق أنها"لا تمتلك مقومات الاصطلاح؛فهي فير مشبعة بمفهوم معين"

ب-الشعرية كإجراء:

إذا كانت الشعرية تسعى للكشف"عن قوانين الإبداع في بنية الخطاب الأدبي "على حد تعبير جيرار جينيت ،فقد كان لقدامى العرب إسهامات يمكنها أن تقف شامخة في وجه ما تقدمه جل النظريات الحديثة،وسنقتصر في مقامنا ها على ثلاثة أعلام فقط،وهم:قدامة بن جعفر،وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني .

-قدامة بن جعفر:

لقد أراد قدامة أن يؤسس نظرية يطمئن إليها النقاد والأدباء فيزنون بها أعمالهم الإبداعية، خصوصا بعد أن علم أن الناس يجهلون قوانين الصناعة الشعرية، وبالتالي يجهلون أسس تمييز جيد الشعر من رديئه، فعمد إلى وضع كتابه "نقد الشعر"

وتظهر أسس نظريته انطلاقا من النقاط التالية:

-تعريف الشعر: يعرف قدامة الشعر بقوله: الشعر: "قول موزون مُقفَّى يدلّ على معنى"

. ويتفق القدماء والمحدثون على أن أركان الشعر أربعة: قول (لفظ)، ووزن، وقافية، ومعنى، وبعضهم يُنقص منها (الوزن) أو (القافية) أو كلاهما معاً.

وإذا نقبنا في تفاصيل الشعريات الحديثة نجدها لا تخرج عن حدِّ قدامة للشعر بالأركان الأربعة. بل إن هناك من يركز على الوزن والقافية في الوقت الذي تخلّت عنهما بعض الأنماط الشعرية كقصيدة النثر مثلا،فجان كوهن يرى أن" القافية ليست في الواقع مجرد تشابهٍ صوتيّ. وليست هي فقط التي تُملي علينا مكان الرجوع إلى السطر، كما قال أراغون.. بل هي عاملٌ مستقل، صورة تضاف إلى غيرها. وهي كغيرها من الصور لا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا في علاقتها بالمعنى" .

-جعله الشعر صناعة: لقد عد قدامة الشعر صناعة فقال: "ولما كانت للشعر صناعة، وكان الغرض في كل صناعة إجراء ما يصنع ويعمل بها على غاية التجويد والكمال. إذ كان جميع ما يؤلّف ويصنع على سبيل الصناعات والمهن، فله طرفان، أحدهما غاية الجودة، والآخر غاية الرداءة. وحدوده بينهما تُسمّى الوسائط" .

-تأسيسه لشروط العمل الشعري:حيث جعل لكل عنصر من عناصر الشعر الأربعة شروطا وهي اللفظ، الوزن، القافية، المعنى وأردف ذلك بأن جعل لها شروطا في ائتلاف هذه العناصر المنفصلة مع بعضها البعض. وهي: ائتلاف اللفظ مع المعنى. وائتلاف اللفظ مع الوزن، وائتلاف المعنى مع الوزن وائتلاف المعنى مع القافية

وقد وضع قدامة أوصافا هي بمثابة الشروط للفظ والمعنى والوزن والقافية كل على حدة ثم جعل نعوتا لها في ائتلافها مع بعضها البعض

فمن صفات اللفظ"أن يكون سمحا ،سهل مخارج الحروف من مواضعها،عليه رونق الفصاحة،مع الخلو من البشاعة"

ومن صفات الوزن "أن يكون سهل العروض من أشعار يوجد فيها وإن خلت من أكثر نعوت الشعر" والترصيع

ومن نعوت القوافي:"أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج،وأن تقصد لتصير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها"

ومن صفات المعنى"أن يكون مواجها للغرض المقصود،غير عادل عن الأمر المطلوب"

أما ائتلاف اللفظ مع المعنى فقد وضع له قدامة المعايير التالية:

المساواة :"وهو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه" .

والإشارة: "وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماء إليها أو لمحة تدلُّ عليها" .

والإرداف :"هو أن يريد الشاعر دلالةً على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدلّ على معنىً هو رِدْفُهُ وتابع له، فإذا دلَّ على التابع أبان عن المتبوع. كقول عمر بن أبي ربيعة:

بعيدة مهوى القرط إما لنوفل أبوها،وإما عبد شمس وهاشم

وإنما أراد الشاعر أن يصف طول الجيد (العُنق) فلم يذكره بلفظه الخاص به. بل أتى بمعنى هو تابع لطول الجيد، وهو "بُعْدُ مَهْوى القُرْطِ" .

التمثيل: "وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدلّ على معنى آخر. وذلك المعنى الآخر والكلام مُنْبِئان عمّا أراد أن يشير إليه. " .

والمطابق والمجانس"ومعناهما أن تكون في الشعر معانٍ متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة" .

كما تكلم قدامة عن عيوب عناصر الشعر الأربعة منفصلة أيضا ثم أردفها بعيوبها مؤتلفة

فمن عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى نجد:

الإخلال: "هو أن يترك من اللفظ ما به يتم المعنى" وعكسه "وهو أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى" .

وأما التشبيه فقد تكلم عن تعريفه وأبرز حدود جيده أثناء كلامه عن نعوت أهم أغراض الشعراء في المعاني وقد أفرد لـه فصلاً مستقلاً.

إن هذه الأوصاف التي وضعها قدامة لـ "تؤكد أنّ المعنى الشعري لـه كيفية خاصة في تقديمه، وأنه لا يُقدَّمُ تقديماً حرفيّا. وإنما يقدم تقديما مجازيا أو شعريا عن طرق ما تنطوي عليه اللغة الشعرية من تكثيف وتعدد في الدلالة" .

ومن هنا نجد أن قدامة قد "آمن بأن النقد يقوم على نظرية مُحدَّدة" . وحاول بناء تلك النظرية ووضع أسسها ،وإن انتقده غيره في بعض أجزائها.

-عبد القاهر الجرجاني:

أراد عبد القاهر الجرجاني أن يؤسس لشعرية الكلام فانطلق من مسلمة مفادها"أنه لا بد لكلّ كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومةٌ وعلةٌ معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذلك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه من ذلك دليل" .

ولقد صرح في بداية كتابه أن أساس ذلك الاستحسان هو النظم الذي بناه على ثلاثة أسس:

-ـ النحو: حيث يعرف النظم بقوله: "وأعلم أن ليس النظمُ إلا أنْ تضع كلامك الوضعَ الذي يقتضيه علمُ النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تخل بشيءٍ منها.." وقال: ".. فلست بواجدٍ شيئاً يرجع صوابه ـ إنْ كان صواباً ـ وخطؤُه ـ إن كان خطأ إلى النظم، ويدخلُ تحت هذا الاسم، إلاّ وهو معنى من معاني النَحْوِ قد أُصيب به موضعُه ووُضع في حقه، أو عُومل بخلاف هذه المعاملة. فأُزيل عن موضعه، واُستعمِلَ في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلاماً قد وُصِف بصحةِ نظم أو فساده أو وُصِف بمزية وفضل فيه، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزيّة وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه. ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه"

-التعلق: حيث يقول"واعلمْ أنك إذا رجعتَ إلى نفسك علمتَ علماً لا يعترضه الشك أَنْ لا نظم في الكَلِمْ ولا ترتيب حتى يُعلَّق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض. وتُجعل هذه بسببٍ من تلك" . إذ أن التعلق مثل "النسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى تكون لوضع كلٍّ حيث وُضِع عِلّةٌ تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكانٍ غيره لم يَصْلُحْ" .

- المزايا والفضائل: التفاضل عند عبد القاهر الجرجاني لا يرجع لا إلى اللفظ ولا إلى المعنى إذ "الألفاظ لا تفيد حتى تؤلّف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجهٍ دون وجهٍ من التركيب والترتيب". ولو تأملت أي كلام حسن سليم: شعراً أو نثراً، لوجدت أن الحسن والسلامة يرجعان إلى ترتيب الكلم على طريقة معلومة "وحصولها على صورة من التأليف مخصوصة. وهذا الحكم ـ أعني الاختصاص في الترتيب ـ يقع في الألفاظ مرتّبا على المعاني المرتبة في النفس" ..

ولهذا رفض مذهب من قدم اللفظ على المعنى، والعكس، فيقول: "واعلم أن الداء الدويَّ والذي أعيى أمره في هذا الباب. غلطُ من قدَّم الشعر بمعناه، وأقلّ الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزيَّة إنْ هو أعطى إلاّ ما فَضَلَ عن المعنى يقول: ما في اللفظ لولا المعنى؟ وهو الكلام إلاّ بمعناه؟: فأنت تراه لا يُقدِّم شعراً حتى يكون قد أُودِعَ حِكمةً أو أدباً.." .

وتبعا لذلك رأى" أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأنَّ المعنى الذي يُعَبَّرُ عنه سبيلُ الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار. فكما أنَّ محالاً إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل ورداءته أن تنظرَ إلى الفضة الحاملة لتلك الصورةِ أو الذهب الذي وقع فيه العملُ وتلك الصنعةُ ـ كذلك محالٌ إذا أردت أن تعرف مكان الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه". وهو في هذا يوافق قدامة بن جعفر

-تقسيمه الكلام إلى قسمين :وهو ما يعرف عنده بالمعنى ومعنى المعنى: حيث يرى أن الكلام يقع على ضربين: "ضربٌ أنتَ تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده" وهو الكلام العادي. "وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلُّك اللفظُ على معناه الذي يقتضيه موضوعُه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدارُ هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل" . وهو الكلام المجازي أو الذي يحتوي عنصر الانزياح بمفاهيم الشعرية الحديثة و يؤكد الجرجاني أن شعرية الكلام تقوم على على المجاز والاستعارة والكناية والتمثيل

فالمجاز هو "كلُّ لفظ نُقِلَ عن موضعه" .

"والاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تُفصِح بالتشبيه وتُظهر وتجيء إلى اسم المشبه به فتُعِيرَهُ المشبه وتُجريه عليه" . وبتعبير آخر: "الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفاً؛ وتدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية" .

وبذلك يكون المجاز "أعمُّ من الاستعارة. والصحيح أن كلّ استعارة مجاز وليس كلّ مجاز استعارة" ذاك أن "ملاك الاستعارة تقريب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار له" .

أما التمثيل "فيكون مجازاً لمجيئك به على حدِّ الاستعارة" . ـ وهو أخص من التشبيه. فكل تمثيل تشبيه، وليس كلُّ تشبيه تمثيلاً" .

وهكذا الكناية عدول عن التصريح وأبلغ منه. والعبارة في ذلك كله، ليست الزيادة في المعنى في ذاته، بل الزيادة في إثباته. "فليست المزيَّة في قولهم: "جمُّ الرماد" أنه دلَّ على قِرىً أكثر، بل أنّك أثبت لـه القِرى الكثير من وجهٍ، وهو أبلغ. وأوجبته إيجاباً هو أشد. وأدَّعيته دعوى أنت بها أنطقُ، وبصحتها أوثق".

-الفصاحة والوزن:ـ لا دخل للوزن في الفصاحة والبلاغة. "لأن الوزن ليس هو من الفصاحة والبلاغة في شيء. إذْ لو كان لـه مَدْخلٌ فيهما لكان يجب في كل قصيدتين اتفقتا في الوزن أن تتفقا في الفصاحة والبلاغة". بينما الحقيقة أن "ليس بالوزن ما كان الكلام كلاما ولا به كان كلام خيرا من كلام" .

-التخييل :وهو "ما يُثبت فيه الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً، ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى" . وجملة هذا في الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز..

والتخييل، بَعْدُ، شأنه في عِظم شجرته إذا تُؤمِّلَ نَسبُه، وُعرِفت شعوُبه وشُعبَهُ، لا يكاد تجيءُ فيه قسمة تستوعبه، ولا تفصيل يستغرقه" .

وإذا كان قدامة قد أسس لنظرية تخص الشعر بالخصوص ؛فإن عبد القاهر الجرجاني قد أسس لبلاغة الكلام

حازم القرطاجني

أراد حازم القرطاجني أن يضع كتابا يجمع فيه ضروب الإبداع عند العرب وقوانينه.

ومن جملة ما توصل إليه في بناء نظريته ما يلي:

- ربط الشعر بعدة روابط تشكل في مجموعها البواعث العامة للفعل الشعري وهي:

-روابط النفسية :حيث "إنَّ للشعراء أغراضاً أُوَّلَ هي الباعثة على قول الشعر، وهي أمور تحدث عنها تأثرات وانفعالات للنفوس.." . أو قوله: "إنَّ معانيَ الشعر، ترجع إلى وصف أحوال الأمور المُحرِّكة إلى القول، أو إلى وصف أحوال المتحركين لها، أو إلى وصف أحوال المُحرّكات والمُحركين معاً."

- روابط اجتماعية:حيث ربط الشعر بالزمان والمكان وأحوال الناس. والقائلين، والأشياء والطباع، واللغة..

-وضع بعض القواعد الخاصة بالشعر وهي:

-التفريق بين علم الشعر المطلق، وعلم الشعر بحسب الزمان والمكان والأحوال واللغات والأمم.معتمدا في ذلك على استقراء دقيق للشعر العربي، وكتب الثراث

فعرف الشعر بأنه" كلام مُخيَّلٌ موزون. مُختصٌّ في لسان العرب بزيادة التقفية. والتئامه من مُقدَّمات مُخيَّلة، صادقة كانت أو كاذبة، لا يشترط فيها -بما هي شعر -غير التخييل . فالتخييل هو أساس الشعر،وهو " أن تتمَّثل للسامع من لفظ الشاعر المُخيّل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورةٌ أو صورٌ ينفعل لتخيّلها وتصورها، أو تصّور شيء آخر بها. انفعالاً من غير رويَّة إلى جهة من الانبساط أو الانقباض" .

وهو عمود علم الشعر المطلق وجوهره في أي زمان ومكان ولغة. فلا شعر بلا تخييل. والتخييل هنا يرتبط بطريقة تقديم المعنى لا بالمعنى نفسه. وبهذا يكون الشعر، شعرا والشاعر، شاعرا. لا من حيث طبيعة المادة، ولكن باعتبار وسيطٍ نوعيٍّ لتحقيق غاياتٍ جمالية والوسيط النوعي للقصيدة، هو تقديمها بخصائص نوعيَّة متميزة . أي الاستخدام الخاص لعناصر القصيدة كلّها: لفظاً ومعنى ووزناً.

وأما بالنسبة لعلم الشعر بحسب الزمان والأمكنة والأحوال واللغة،فهذه الأسس الأربعة هي بواعث الاختلاف في أنماط القول الشعري وطُرقِه .

-الشعر عند القرطاجني لا يتحقق بمجرد ائتلاف اللفظ والمعنى والوزن والقافية. "فأخسّاء العالم قد تحرّفوا باعتفّاء الناس واسترفاد سواسية السوق بكلام صوَّروه في صورة الشعر من جهة الوزن والقافية خاصة، من غير أن يكون فيه أمرٌ آخر من الأمور التي بها يتقوّم الشعر. وكأن منزلة الكلام الذي ليس فيه إلا الوزن خاصة، من الشعر الحقيقي، منزلة الحصير المنسوج من البَرْدي وما جرى مجراه من الحلّة المنسوجة من الذهب والحرير لم يشتركا إلا في النسج كما لم يشترك الكلامان إلا في الوزن" .

-أكد على أهمية التمثيل والتشبيه والاستعارة في الفعل الشعري وهي أسس التخييل والمحاكاة: "ومن تلذذ النفوس بالتخيّل أن الصُوَر القبيحة المُستبشعة عندما تكونُ صُورُها المنقوشة والمخطوطة والمنحوتة لذيذة إذا بلغت الغاية القصوى من الشّبه بما هي أمثلة له، فيكون موقعها من النفوس مُستلذّاً لا لأنها حسنة في أنفسها، بل لأنها حسنة المحاكاة لما حُوكي بها عند مقايستها به" . وقوله: "وإنما ينبغي أن يُمثّل حُسن المحاكاة في القول بأحسن ما يمكن أن يوجد من ضروب تصاوير الأشياء وتماثلها" .

-إدراكه وظيفة الشعر وأهمية عناصر الاتصال اللغوي وذلك حين يقول: "والأقاويل الشعرية تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحِيل التي هي عمدة يف إِنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي أعوان العمدة. وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له."

وهنا نجده يلتقي مع ياكيسون

فما يرجع إلى القول نفسه = الرسالة

وما يرجع إلى القائل = المُرسِل

وما يرجع إلى المقول فيه = السياق

وما يرجع إلى المقول لـه = المُرسَل إليه

وأما قوله "والحيلة فيما يرجع إلى القول وإلى المقول فيه وهي محاكاته وتخييله بما يرجع إليه، أو بما هو مثال لما يرجع إليه، هما عمودا هذه الصناعة، ومما يرجع إلى القائل والمقول لـه كالأعوان والدعامات لها" . فهنا نجده يركز على الوظيفة الشعرية:

-الوزن عند حازم جوهري في الشعر،ومفهومه يتوقف على "معرفة التناسب في المسموعات والمفهومات.. وهذه لا يُتوَصل إليها بشيءٍ من علوم اللسان إلاّ بالعلم الكُلّي في ذلك، وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كليّاته، ضروب التناسب والوضع.." .

وهو بذلك أحد عناصر التخييل الشعري،فلا ينفصل عن المعنى والدلالة

-القافية: من جوهر الشعر العربي ،وتدخل في صميمه؛حيث عرفه بقوله: "إنه كلام مخيّل موزون. مختصّ في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك" . وهي عنده " حوافر الشعر. أي عليها جريانه واطّراده، وهي مواقفُه. فإن صَحَّت استقامت جريته وحسنت مواقفه ونهاياته" . إذ ترتبط بسائر البيت لفظاً ومعنى وصوتاً. كما أنها"لفظةٌ مثل لفظ سائر البيت من الشعر، ولها دلالة على معنى كما لذلك اللفظ أيضاً، والوزن شيء واقع على جميع الشعر الدال على المعنى".

وهو ما يتبناه جان كوهن حين اعتبر أن القافية ليست مجرد تشابه صوتي، بل لها علاقة داخلية بالمدلول، ويجب أن تُفهم داخل هذه العلاقة.

وإذ كانت القافية موجودة في أشعار أمم أخرى، فإن الأكيد أنها مختلفة سواء من حيث البنية أو الوظيفة.

ومما تم ذكره نجد أن حازما قد اجتهد في وضع نظرية تؤسس للعمل الإبداعي وخصوصياته،وإذ لم نفصل فيها كثيرا ؛فإننا نعتقد أنه ينبغي أن يفرد لها مؤلف خاص بها حتى تعطى حقها

1. نفسه ج3ص36 [↑](#footnote-ref-1)
2. السكاكي،مفتاح العلوم ص161 [↑](#footnote-ref-2)
3. القزويني،الإيضاح ص4 [↑](#footnote-ref-3)
4. الصاحبي ص179 [↑](#footnote-ref-4)
5. ينظر: القزويني ،الإيضاح ص28،السكاكي،مفتاح العلوم ص170- 121 [↑](#footnote-ref-5)
6. البقرة 28 [↑](#footnote-ref-6)
7. الهمزة 5، 6 [↑](#footnote-ref-7)
8. البقرة282 [↑](#footnote-ref-8)
9. الكهف 22 [↑](#footnote-ref-9)
10. القزويني،الإيضاح ص 5 [↑](#footnote-ref-10)
11. ابن الأثير،المثل السائر مج1ص 69 [↑](#footnote-ref-11)
12. غافر36 [↑](#footnote-ref-12)
13. الإسراء45 [↑](#footnote-ref-13)
14. مريم 61 [↑](#footnote-ref-14)
15. القصص 57 [↑](#footnote-ref-15)
16. المجادلة 3 [↑](#footnote-ref-16)
17. البقرة19 [↑](#footnote-ref-17)
18. العلق17 [↑](#footnote-ref-18)
19. يوسف36 [↑](#footnote-ref-19)
20. النساء2 [↑](#footnote-ref-20)
21. ابن منظور،لسان العرب مادة "شبه "ص2189 [↑](#footnote-ref-21)
22. لم يفرق ابن الأثير وزالزمخشري بينهما،أما عبد القاهر والسكاكي والقزويني ففرقوا بينهما [↑](#footnote-ref-22)
23. جابر عصفور،الصورة الفنية ص104 [↑](#footnote-ref-23)
24. أبو نصر الباهلي ،شرح ديوان ذي الرمةص15 [↑](#footnote-ref-24)
25. المرزباني،الموشح ص225 [↑](#footnote-ref-25)
26. ابن سلام ،طبقات فحول الشعراء،تح:محمود محمد شاكر،دار المعارف،القاهرة،1952، ص46 [↑](#footnote-ref-26)
27. الرحمان 58 [↑](#footnote-ref-27)
28. المائدة 16 [↑](#footnote-ref-28)
29. الروم55 [↑](#footnote-ref-29)
30. الضحى9،10 [↑](#footnote-ref-30)
31. الكهف6 [↑](#footnote-ref-31)
32. الحديد 3 [↑](#footnote-ref-32)
33. النساء108 [↑](#footnote-ref-33)
34. البقرة189 [↑](#footnote-ref-34)